

الباب الأول

الشعراء الخالص

ويشتمل على ستة أقسام

تمهيد للمؤلف

إذا قيل : إنَّ العربيَّ لا يخطئُ، فالمراد لا يخطئُ في اللفظ للملكة اللسانية
الراسخة فيه^(١) ، وأما في المعاني فلم يقل أحد بعصمة جنانه ، كما قالوا بعصمة
لسانه، بل هو خلاف ما صرَّح به أئمة العربية ، ألا تراهم كيف خطَّأوا أبا
قيس بن رفاعه^(٢) في قوله :

منا الذي هو ما إن طرَّ شاربه والعانسون ومنا المرْد والشَّيب

لأنه لم يحسن التقسيم في البيت .

وقد أعترض ابن هشام في المغنى على ذكره المرْد بعد قوله : ما طرَّ
شاربه ، إذ الذي لم ينبت شاربه أمرْد ، فكأنه قال : منا الأمرْد ، ومنا المرْد ، ثمَّ
قال : "والبيت عندي فاسد التقسيم بغير هذا ، ألا ترى أن العانسين ، وهم
الذين لم يتزوجوا ، لا يناسبون بقية الأقسام ، وإنما العرب محمَّيون عن الخطأ في
الألفاظ دون المعاني " انتهى .

^(١) لبعض شعراء العرب أغلاط لفظية نبه عنها العلماء، وفي كونها للضرورة أو لغيرها خلاف لا يقع المقام
ذكرة .

^(٢) لم يتعرض البغدادي لهذا البيت في شرحه لشواهد المغنى بسوى قوله: « قال أبو عبيد البكري في شرح نواتر
القالي: البيت لأبي القيس بن رفاعه، هكذا يقول يعقوب، وغيره يقول: قيس بن رفاعه ». قلنا: للبكري
كتابتان، أحدهما: شرح نواتر القالي الذي نقل عنه البغدادي هذه العبارة، والثاني التبيه على أوهام القالي
في أماليه، وعندنا منه نسخة صحيحة مقروءة كتبت سنة ٦٦٢هـ ونص ما فيها عن قيس بن رفاعه: « إنما
هو أبو قيس بن رفاعه واسمه دثار، وقد ذكره أبو علي رحمه الله بعد هذا في كتابه على صحه » الخ إلا أن
أحد من قرأ النسخة زاد لفظ (أبي) قبل رفاعه فصار ابن أبي رفاعه وكتب لوقه (صح) .

وقد حاول بعض شراحه تصويب ما فى البيت بتقدير أن أصله : مَنّا
العانسون والمتزوجون ومَنّا المرد والشيب ، وذكروا فيه أوجهاً أخرى لا تخلوا
من مثل هذا التكلف .

وقال الجاحظ فى كتاب الحيوان : "وليس الأعرابي بقدوة إلا فى الجرّ
والنصب والرفع وفى الأسماء ، وأما غير ذلك فقد يخطئ فيه ويصيب"
والنصوص على ذلك كثيرة لا تختلف إلا فى المبنى فلا حاجة لذكرها . وقد بحثنا
فيما وصل إلينا من هذه الأوهام ، وتفحصنا أسبابها ، فرأيناها ترجع إلى الأقسام
الآتية :

القسم الأول

فمن أسباب الوهم في المعاني جهل الشاعر بما يذكره لبعده عنه ، فتراه يأتي به على غير حقيقته ، ويضعه في غير موضعه ، أو يبههم في وصفه فلا يذنيه منك ولا يبعده ، كالحضريّ الذي لم يسبق له التبدّي ، والبُدويّ الذي لم يتحضّر ، فإنهما قلّما يستطيع أحدهما أن يذكر ما عند الآخر فيصيب فيه ، أو يصفه فيحسن الإفصاح عنه لآله إنّما يذكر ما لم يعرفه، ولم يره إلاّ بسمعه حكى صاحب الأغاني عن الكميت أنّه قال : لما قدم ذو الرّمة أتيته فقلت : إني قد قلت قصيدة عارضت به قصيدتك : (ما بال عينك منها الماء ينسكب) فقلت : هل أنت عن طلب الأيفاع منقلبُ أم كيف يحسن من ذى الشّيبة اللعب؟ حتى أنشدته إياها ، فقال لي : ويحك ! إنك لتقول قولاً ما يقدر إنسان أن يقول لك : أصبت ولا أخطأت ، وذلك أنك تصف الشئ فلا تجي به ، ولا تقع ابدياً عنه . بل تقع قريباً . قلت له : أو تدري لم ذلك ؟ قال : لا ، قلت : لأنك تصف شيئاً رأيته بعينك ، وأنا أصف شيئاً وُصف لي ، وليست المعايينة كالوصف . قال : فسكت . انتهى .

ويروى : أنّ الكميت كانت له جدّتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها ، وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية ، فإذا شكّ في شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبرانه ، فمن هناك كان علمه .

قلنا : وقد رأيت كيف لم يغنه وصف الجأتين شيئاً ، فوقع فيما احتاج
إلى الاعتذار منه ، وليت شعري أين عزبتا عنه لما نظم قصيدته:
أبت هذه النفس إلا أَدَّ كاراً فقال فيها^(١) :

إذا ما الهجارسُ غَنِينِهَا يُجاوبن بالفَلَوَاتِ الوِبَارِ^(٢)

وقال:

كَأَنَّ القُطَامَطَ من غَلِيهَا أراجيزُ أسْلَمَ هَجَو غِفَارِ^(٣)

فكانتا تخبرانه بأن الوبار لا تسكن الفلوات، وبأن أسلم ما هجت غفارا قط
فتنجيانه من أنتقاد نصيب .

ومثل هذا الحضري في وصفه ما لم يره من أمور البادية ، كمثل ذلك
البدوي الذي سمع بأن الرقاق والفتق من مأكول الحضر، وأراد وصف جارية
بالتبدي فقال :

دَسِيَّةٌ لم تَأْكُلِ المَرَقِّقَا ولم تذق من البقول الفستقا^(٤)

(١) في الأغاني أن انتقد لليبين نصيب .

(٢) الهجارس: الثعالب، أو كل ما يسمس بالليل مما كان دون الثعلب وفوق البرقع. والوبار (بكسر الأول):
جمع وبر، وهي دوية على قدر السنور .

(٣) أصل القطاط (بضم الأول): صوت غليان موج البحر، وأراد هنا صوت غليان القدور لأنه يصف قدور أبان
ابن أنوليد البجلي. والذي في الخصائص والمزهر أن أسلم وغفارا لم تقع بينهما مهاجاة. ومثله في الموشح
للمرزياني وزاد أمما من قبيلة واحدة ومثله أيضاً في شرح القاموس إلا أنه ذكر في إحدى الروايات أمما
فهاجنا مرة، وهو قوله تفرد به قائله .

(٤) البيت لأبي نجيلة الأسدي. والدسية: النسوبة إلى الدست، وهي الصحراء، وهي رواية اللسان، والسدي في
الصحاح وأكثر كتب الأدب. برية، والمراد أمما بدوية لا تعرف الحضر ولا مأكله .

وعذره أنه لم يعرض الفستق، وإنما سمع به فظنه من البقول، وهو ثمرة شجرة . قال شارح القاموس : " وتمحل بعضهم فقال : إنما هو من النقول بالنون^(١) قال الصاغاني : ولكن الرواية بالباء لا غير " انتهى . ولا ندري ما الذى كان يأتينا به فى الرقاق لو أتسع له المجال فى البيت . ولو أنا قدرنا عكس هذه الحالة وأرينا هذا الأعرابي الرقاق والفستق قبل أن نخبره بما لكان حقاً علينا أن نعذره كما عذرناه أولاً إذا رأيناه يعدل عن حقيقتهما إلى ما يصوره ظنه فيهما كما وقع للعرب فى وقعة أليس^(٢) لما استولوا على ما فى معسكر الفرس ، فجعل من لم ير الرقاق منهم يقول : ما هذه الرقاق البيض على ما حكاه ابن الأثير فى الكامل .

ومن طريف ما يروى عن ناهض بن ثومة ، وكان بدوياً جافياً ، أنه نزل حلب وشهد فى ضاحتها عرساً ، فلما رأى احتشاد الناس ظنهم فى أحد العيدين ، ثم تذكر أنه خرج من البادية فى صفر وقد مضى العيدان ، ولما رأى العروس بين السماطين ظنه أمير البلد فى يوم جلوسه للناس . ثم وصف ما رآه فى العرس على تصوّره ، فقال عن الموائد : " فلم أنشب أن دخل رجال يحملون هئات مدورات ، أما ما خفّ منها فيحمل حملاً ، وأما ما كبر وثقل فيدحرج فوضع ذلك أمامنا ، وتملّق القوم عليه حلقاً ، ثم أتينا بخرق بيض فألقيت بين

(١) النقول جمع نقل، وهو ما يتقل به على الشراب. ولعله أراد بالتمحل الجوهري لقوله فى الصحاح: « ظن هذا الأعرابي أن الفستق من النقل ، وهكذا يروى بالباء ، وأنا أظنه بالنون لأن الفستق من النقل وليس من النقل. »

(٢) فى نسخة الكامل لابن الأثير المطبوعة ببولاق (الليس) والصواب أليس (بضم المعزة وتشديد اللام المفتوحة وسكون الباء) كما فى معجم البلدان لياقوت .

أيدينا فظننتها ثياباً، وهمت أن أسأل القوم منها خرقاً أقطعها قميصاً، وذلك
أتى رأيت نسجاً متلاحماً لا يبين له سدَى ولا لُحمة، فلما بسطه القوم بين
أيديهم إذا هو يتمزق سريعاً وإذا هو فيما زعموا عتف من الخبز لا أعرفه".
وقال عن العود: "وكان معنا في البيت شاب لا آبه له، فعلت الأصوات بالثناء
عليه والدعاء، فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها، فيها خيوط أربعة،
فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه، ثم عرك آذانها وحركها بخشبة
في يده، فنطقت وربّ الكعبة! وإذا هي أحسن قينة رأيتها قط، وغنى عليها
فأطربني حتى أستخفي من مجلسي، فوثبت فجلست بين يديه وقلت: بأبي أن
وأمتي ما هذه الدابة فليست أعرفها للأعراب وما أراها خلقت إلا قريباً؟ فقال:
هذا البربط، فقلت: بأبي أنت وأمتي، فما هذا الخيط الأسفل؟ قال: الزير،
قلت: فالذي يليه، قال: المثني، قلت: فالثالث، قال: المثلث: قلت:
فالأعلى، قال: البمّ، فقلت: آمنت بالله أولاً، وبك ثانياً وبالبربط ثالثاً،
وبالبمّ رابعاً" انتهى.

ومن قبيل بيت الفتسق قول عمر بن أحرر الباهليّ يصف امرأة بالفرارة:

لم تدر ما نسج اليرندج قبلها ودراس أعوصِ دارسٍ متخذد

يريد أنها غرّة لا تعرف نسج اليرندج، ولم تدارس الناس عويص الكلام
الذي يخفي أحياناً ويتبين أحياناً، قالوا: ولم يعرض الشاعر أن اليرندج: جلد
أسود تعمل منه الخفاف، فظنه ثما ينسج، والتمس بعضهم له مخرجاً فقال:

أراد بالنسج هنا : المعالجة والعمل . وقال آخر: بل أراد أنها لغرمتها وقلة تجارها
ظنت أن البرندج منسوج .

قلنا : ولا نخل النصوص اللغوية تساعد على الأول . أما الثاني فكما
قال أبو هلال في الصناعتين: إن ألفاظ البيت لا تدلّ عليه .
(ومن قبيله) قوله رؤبة :

بلى بلد ملء الفجاج قَمَّةً لا يُشترى كَنَانَهُ وَجَهْرَمَةٌ

وجهرم : قرية بفارس تنسب إليها الثياب والبسط قال أبو عمرو والأصمعي:
فظن رؤبة أنها ثياب، وردّ عليهما عليّ بن حمزة البصرى في التنيّهات : بأنّه
أراد كَنَانَهُ وَجَهْرَمِيَّةً، فقطع ياء النسب ، كما قال العجاج :

يكاد يدري القَيْقَبَانُ المُسْرَجَا

والقيقب : خشب تنحت منه السروج ، فنسب السرج إليه فقال
القيقباني ثم قطع ياء النسب .

وقد استشهد الوزير البطليوسى بهذا البيت في شرح ديوان امرئ القيسى،
فذهب فيه مذهب أبي عمرو والأصمعي حيث قال: "وغلط في الجهرم ظن أنها
ثياب وهو بلد بفارس" .

(ومن قبيله) قول الراعي يصف امرأة تذهن بالمسك :

تكسو المقارق واللّبات ذا أرج من قُصبٍ معتلف الكافور درّاج

فجعل المسك من القصب ، وهو المعى ، وكأنه لما سمع أنه من دابة ظنها تعتلف الكافور فيتحوّل في أمعائها إلى مسك ويجتنى منها وخطأه أبو حنيفة الدينورى في كتاب النبات في قوله يصف إبلاً :

لها قارة ذفراء كل عشية كما فتق الكافور بالمسك فاتقة^(١)

فقال: "ظنّ أنّه يفتق به، وكان الراعى أعرابياً قحاً، والمسك لا يفتق بالكافور" ولكنّ علىّ بن حمزة البصرى ردّ عليه في التنبّهات بقوله: "أمّا قوله: والمسك لا يفتق بالكافور فصحيح، ولم يقل الراعى كما فتق المسك بالكافور، وإن كان المسك لا يفتق بالكافور فإنّ الكافور يفتق بالمسك. وجعل الراعى أعرابياً قحاً، ونسبه إلى الجفاء ، وأوهم أنّه قد غلط ، وخطأه في شىء لم يقله ، اللهمّ إلا أن يكون عند أبي حنيفة أنّ الكافور لا يفتق بالمسك ، ويكون قد غلط هو في العبارة وعكسها ، فيكون في هذه الحالة أسوأ حالاً منه في الأولى، ويكون قليل الخبرة بالطيب وعمله واستعماله، ولا رائحة أمّ^(٢) من الكافور إذا فتق بالمسك، يشهد بذلك بنو النعمة والعطارون قاطبة" انتهى.

(ومن قبيله) قوله رؤبة :

هل يعصمتى حلف سيختيتُ
أو فضة أو ذهب كبريت^(٣)

(١) إذا رعت الإبل العشب وزهره، ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة، فيقال لتلك: قارة الإبل. والذفر: شدة ذكاء النّريح من طيب أو نعن، والمراد هنا الأول. وفتق الطيب: خلطه بغيره لاستخراج رائحته .

(٢) في نسخة التنبّهات (١١ : ٢٠٤) : أمم بدل أمّ، والسياق لا يقتضى الوصف بالرائحة الخبيثة المتغيرة، ولا نظه إلا خطأ من النسخ، وصوابه: (أمم) كما ألبتاه، وهو من قولهم: تم المسك، إذا سطع .

(٣) السختيت (بكسر فسكون): الشديد .

قال ابن الأعرابي والأصمعي وغيرهما : ظنّ رؤبة أن الكبريت ذهب .
وفي العقد : سمع بالكبريت أنه أحر فظنّ أنه ذهب . وفي شفاء الغليل : " وذكره
رؤبة في شعره بمعنى الذهب ، وخُطّي فيه لأنّ العرب القدماء يخطنون في المعاني
دون الألفاظ .

قلنا : ولا يخرج ما في اللسان عن ذلك ، ولكنه ذكر تفسير الكبريت
بالذهب الأحمر في قوله لبعضهم ، وهو كما لا يخفى يناقض ما اعترض به
هؤلاء الأئمة ، فلعله حدث بعد نظم البيت وبنى على ما فيه وثوقاً من قائله
بالشاعر وليحقق .

(ومن قبيله) قول أبي ذؤيب في وصف الدرّة:

فجاء بها ما شئت من لَطْمِيّة يدوم الفرات فوقها ويموج^(١)

قالوا : والدرّة لا تكون في الماء العذب ، وإنما تكون في الماء المالح ، كذا
في اللسان والعقد والوساطة وما يجوز للشاعر في الضرورة وغيرها . وذكر أبو
هلال في الصناعتين : أن من يحتجّ له يرى أنّ مراده ماء الدرّة ، وقد وقفت في
شرح السيرافي على كتاب سيويه على تفصيل لذلك بما نصه : " قال الأصمعي :
هذا غلط ، وذلك أنه ظنّ أنّ اللؤلؤ يخرج من الماء العذب لبعده عن مواضع
اللؤلؤ ، ومعنى يدوم الفرات فوقها ويموج : أي يسكن مرة ويهيج أخرى

(١) اللطمية (بفتح الحين) نسبة إلى اللطمية (بفتح فكسر) : وهي الدواب التي تحمل العطر والبز ونحوها غير المرة .
ورواية اللسان في (دوم) : تدوم البحار الخ قال : ورواه بعضهم : يدوم الفرات ، وهذا غلط لأنّ الدر لا يكون
في الماء العذب .

بالريح أو زيادة الماء . وذكر بعض أهل اللغة : أنّ هذا صحيح ، وأنّ الأصمعى هو الغالط ، وكيف يذهب هذا على أبي ذؤيب ، وهو من هذيل ، ومسلكهم جبال مكة المطلّة على البحر ومواضع اللؤلؤ ، وإنما أراد أبو ذؤيب بالفرات هاهنا ماء اللؤلؤة الذى قد علاها وجعله فراقاً ، إذ كان أعلى المياه ما كان فراقاً . وقوله : يدوم الفرات ، أى يسكن . وعموج ، أى يضطرب وإنما أراد أنه يسكن فى الناظر مرّة ، ويضطرب أخرى لصفاتها وبريقها ، وأن الماء هو ماء اللؤلؤة" انتهى .

(ومن ذلك) قول لبيد:

ومقام ضيق فرجته بمقامى ولسانى وجادل

لو يقوم الفيل أو فياله زلّ عن مثل مقامى وزحل^(١)

أى لو يقوم الفيل أو صاحبه فى هذا المقام لزلّ وتنحى ، ولم يثبت مثل ثباتى ، ولا معنى لذكر الفيال هنا ، ولكنه لما سمع بعظم خلق الفيل وشدة أيده، ظن أنّ لسائسه مثل قوته فأخطأ .

(ومنه) قول الآخر :

وألين من مسّ الرخامات يلتقى بمارنه الجادى والعنبر الورد

أنشده السيوطى فى المنهر ، ونقل عن القالى فى أماليه أنه قال : "غلط الأعرابى لأنّ العنبر الجيد لا يوصف إلا بالشبهة .

(١) فى رواية أخرى: (زاح) بدل زل، ومعناه تنحى .

قلنا : البيت وارد في الأماي ، وهو من أبيات أولها: (سقى دمتين ليس لي بما عهد) وليس في النسخة المطبوعة ما نقل في المزهري من الانتقاد ، فلعسل القالي ذكره في كتاب آخر له .

(ومنه) قول خالد بن زهير :

وقاسمها بالله جهداً لأنتمُ ألدّ من السلوى إذا ما نشورها

ظنّ السلوى العسل فقال نشورها، أى تجنبها من الخلية . قال الزجاج: أخطأ خالد إنما السلوى طائر ، وتمحلّ الفارسيّ في الردّ عليه بأنّ السلوى كلّ ما سلاك . وقيل للعسل : سلوى لأنه يسليك بحلاوته ، وتأتيه عن غيره كما تلحقك فيه مؤونة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة انتهى ولا يخفى ما فيه .

القسم الثاني

وكما أنهم يخطئون فيما لم يروه ويعهدوه ، نراهم يخطئون أيضاً فيما نشأوا عليه ، وألقوا رؤيته صباح مساء . ومأتى هؤلاء من تعرضهم لما عرفوا جهلته ، ولم يحيطوا بتفصيله ، لأن المعرفة تتفاوت كثرة وقلة بحسب ملابسة الأشياء ومجانبتها ، فمن كان أشد علاقةً بالشئ كان بالضرورة أخبر به وأبصر فمن ضعفت علاقته به ، أو قصرت معرفته له على مجرد الألف والمشهدة . ألا ترى أن قيم الغراس لا يجهل السيف ، كما لا يجمله سائر العرب ، ولكننا إذا اخترناه فيه لا نصيب عنده من العلم به وبدقائق أجزائه ومختلف حالاته وصفاته ما نصيبه عند الطباع والصيقل . وكذلك نرى صاحب الظلف أعرف بالشاة والعز منه بالفرس والبعر ، وصاحب الخيل أبصر بما من الملاح أو البراز ، وقس على ذلك سائر الأمور في الكثير الغالب . ومن هذه الناحية تطرق الخطأ لرؤية في قوله يصف فرساً ويذكر قوائمه :

بأربع لا يعتفن العفقا^(١) يهوين شتى^(٢) ويقعن وفقاً

فجعله يضرب ، أي يجمع يديه ثم يشب فيقع مجموعة يداه ، وهو عيب ، لأن الجياد من الخيل لا تقع حوافرها معاً ، وإنما المستحب من الفرس أن يسبح بيديه. ولما قيل له : أخطأت يا أبا الجحاف^(٣) جعلته مقيداً يضرب ، قال: أي بنى لا علم لي

(١) اعتنف الشئ: جهله. والعفق: شدة العدو .

(٢) كذا في اللسان والديوان والموشح وغيرها ، ورواه الزجاجي في أماليه: (مثنى) .

(٣) يفتح الجيم وتشديد الحاء المهملة كنية رؤية .

بالخيل ، ولكن أدنى من ذنب البعير أصفه كما يجب، قال الأصمعيّ: فإدنى منه فلم يصنع شيئاً .

(ومثله) قول أبي النجم يصف فرساً أجراه في الحلبة :

يسبح أخراه ويطفو أوله

قال الأصمعيّ: أخطأ في هذا لأنه إذا سبح أخراه كان حمار الكسّاح أسرع منه ، وإنما يوصف الجواد بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه ، كذا في الأغاني . وفي العقد : أن اضطراب مؤخر الفرس قبيح ، والوجه ما قال أعرابيّ في وصف فرس أبي الأعور السلميّ .

مرّ كلمع البرق ناظره يسبح أولاه ويطفو آخره

فما يمسّ الأرض منه حافره

وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : " وكان أبو النجم وصافاً للفرس وأخذ عليه في صفته يسبح أخراه ويطفو أوله^(١) " ثم ذكر قول الأصمعيّ ولم يزد، ولكنّ عليّ بن حمزة البصرى نقل عن في التنبهات قولاً عن غير الأصمعيّ فيه تصريب لما في الرجز، فلعله ذكره في كتاب آخر غير الطبقات . وعزا عليّ بن حمزة انتقاد الأصمعيّ الى تعصّبه على أبي النجم ومن يستقر كلامه في هذا الكتاب يجد عجباً من تعصّبه هو على الأصمعيّ وردّه ما يقول بحقّ وبغير حقّ ، وكان خيراً له أن يعتذر هنا لأبي النجم اعتذار رؤية لنفسه .

(١) يستفاد من هذا أن ككرة وصف الشئ لا تعصم القائل من الخطأ فيه إذا لم يكن عليماً به .

(ومما) خُطِيء فيه أبو النجم وثبه عنه ابن قتيبة في طبقات الشعراء قوله في وصف فرس:

كانها مبيجة القصار^(١)

ولم يبين وجهه بسوى قوله: إن المبيجة لصاحب الأدم، أى الجلد، وأنها أيضاً التى يدق عليها الأدم من حجر وغيره ، فإن كان يريد أنها لا تكون لقصار الثياب كما يؤخذ من كلامه وكلام أبي هلال فى الصناعتين فليس بشئ لأنها تكون لكليهما ، وإن كان الخطأ فى تشبيه الفرس بها فربما ولكن لم يظهر لنا وجهه .

(ومما) أخطأ فيه أبو النجم أيضاً قوله فى الإبل :

وهى على عذب روى النهل دحل أبى المرقال خير الأدحل

من نحت عاد فى الزمان الأول

ففى الأغاني : "قال الأصمعيّ : الدحل لا تورده الإبل إنما تورده الركايا ، وقد عيب بهذا وعيب بقوله فى البيت الذى يليه : إن هذا الدحل من نحت عاد ، قال : والدحلان لا تحفر ولا تنحت إنما هى خروق وشعاب فى الأرض والجبال لا تصيبها الشمس فتبقى فيها الماء ، وهى هوة فى الأرض يضيق فمها ثم تتسع فيدخلها ماء السماء ."

(ومما) أخطأ فيه فى الإبل أيضاً قوله يصف ورودها :

(١) المبيجة (بكر الأول): مدقة القصار وصانع الجلد، أى الخشب التى يدق فيها .

جاءت تسمّى في الرعيل الأوّل والظلّ عن أخفافها لم يفضّل

فقوله : والظلّ لم يفضّل عن أخفافها يدلّ على أنّها وردت الماء في المهاجرة
والعرب إنّما تصف الورود غلساً والماء بارد كقول الشاعر :

* فوردت قبل الصباح الفاتق *

وقول الآخر :

* فوردت قبل تبيّن الألوان *

وقول ليبيد :

* إنّ من وردى تفليس التّهلّ *

(ومما خطأوا فيه أبا النجم قوله في وصف راعي الإبل :

* صلب العصا جافٍ عن التغزّل *

قالوا: ولا يوصف الراعي بالصلابة على إبله. والعرب إذا أرادت
وصفه قالت: (هو ضعيف العصا) كأنه لحسن رعايته لا يحتاج إلى شدة وغلظة
كما قال الشاعر :

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أمحل الناس إصبعا^(١)

(١) الإصبع هنا: كناية عن الأثر الحسن، ويورى (أجذب) بدل أمحل، وقل ضمنه الشهاب الخفاجي في قوله
وأورده في كتابه السوالم :

أى النيل في مصر له كل منة على أهلها إذ عمم الخير أجمعا

أباهديه قد فاضت وزاد له الوفا عليها إذا ما أجذب الناس إصبعا

صدى إبل أن تتبع الريح مرة يدعها ويخفى الصوت حتى تربعا^(١)
إذا سرحت من مبرك نام خلفها بميثاء مبطن الضحى غير أروعا^(٢)
لها أمرها حتى إذا ما تبوات بأخفافها مأوى تبوأ مضجعا

فهذا ما توصف به حدّاق الرعاة. ومثله قول الراجز:

إذا الركاب عرفت أبا مطرُ مشت رويداً وأسفت في الشجر

لأنها ألفت منه الرفق بما وتركها ترعى كما تشاء. وقيل: لم يرد أبو النجم بصلاية العصا شدته عليها، وإنما أراد وصفه بصلاية الظهر وقوة البدن، كما يقال: فلان صلب القناة. وقيل: بل أراد أنه صلب العصا على الحقيقة لأن الراعى إذا كان جلدًا صارمًا اختار عصاه من أصلب ما يقدر عليه، وإلا هلكت إبله وضاعت، وعبت بما الوحوش والسابلة. وقد أطال عليّ بن حمزة البصرى في التنبهات في الانتصار له بما لا يخرج عمّا ذكرناه.

وقد آن لنا أن ندع أبا النجم ونتقل إلى الملك الضليل لنرى كيف ضلّ في وصف فرسه فقال:

فللسوط ألّهوب وللساق درّة وللزجر منه وقع أخرج مُهذّب^(٣)

(١) صدى إبل، أى رفقى بياستها، عالم بما وعصلحها، يقال: فلان صدى مال وصدى إبل إذا كان كذلك.

(٢) الميثاء (بفتح الأول): الأرض اللينة السهلة.

(٣) ويروى: (وللزجر منه وقع أهوج منعب) وهو من النعب، أى السير السريع.

الأهوب والدرّة : شدّة الجري : والأخرج ، الظليم . والمهذب : السريع
العدو . أراد امرؤ التيس أن يصف فرسه بالسرعة ، فذكر أنه يضربه بالسوط
فيلهب ، ويركضه بساقه فيدرّ جريه ، ويزجره فيقع الزجر منه موقعه من
الظليم فيعدو عدوه . قالوا : ولو استعين بهذه الأشياء على أحسن حمار وأضعفه
فعدا لم يستحقّ أن ينعت بالسرعة . ويقال : إنّ أوّل من عاب عليه هذا البيت
امراته أمّ جندب لما احتكم إليها هو وعلقمة ابن عبدة الفحل في أيهما أشعر ؟
فقال : سمعتك زجرت وضربت وحرّكت ، وفرس ابن عبدة أجود من
فرسك حيث يقول فيه :

فأقبل يهوى ثانياً من عنانه يمرّ كمرّ الراح المتحلّب

فغلبت علقمة عليه ، والله درّ ابن المعتزّ فإثّه ذكر السياط ولكنه احترس
احتراساً حسناً فقال :

صبينا عليها ظالمين سياطنا فطارت بما أيدٍ سراعٍ وأرجلُ

فقوله . ظالمين من أحسن ما يحترس به هنا .

(وتمّ) أخذ على امرئ القيس قوله في وصف فرس أيضاً :

لها متتان خطاتا كما أكبّ على ساعديه الثمير^(١)

(١) متتا الظهر ومناه : مكتفا الصلب ، وأراد بخطاتا : (خطاتان) لحدف النون ، أو أراد خطتا فأشبع ،

والكلام له لا يحمله المقام .

ومعنى الخنْطَة : المكتثرة ، أراد لها متنان كثيراً اللحم كساعدي النمر
البارك في الغلظ ، وليس هذا مما تمدح به الجياد ، وإنما المستحب في المتن
والوجه التعريق كما قال طفيل :

* معرفة الألقى^(١) تلوح متونها *

وفي اللسان. "ويستحب من الفرس أن يكون معروق الخدين قال:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملي جرداء معروقة اللحين سُرحوب

ويروى : معرفة الجنين ، وإذا عرى لَحْيَها من اللحم فهو من علامات

عقها ، وفرس معرَّق : إذا كان مضمراً ، يقال : عرَّق فرسك تعريقاً ، أي

أجره حتى يعرق ويضمُر ويذهب رهل لحمه " انتهى .

(وتبعه) أبو ذؤيب الهذلي فقال في فرس :

قَصَرَ الصبوحَ لها فَشْرَجَ لحمها بالنيّ فهي تنوخ فيها الإصبع^(٢)

تأبي بدرتها إذا ما استكرهت إلاّ الحميمَ فإنه يتبضع

أي قصر صاحبها عليها اللبن فسمنت حتى شرج لحمها بالنيّ ، أي خلط

بالشحم فلو غمزته ياصبعك تاخت فيه ، فجعلها كثيرة اللحم رخوة ، وهو

عيب ، لأن الجياد توصف بقلة لحمها وصلابته ، وأما الذي قاله فالأحرى به

شاة يضحى بها قالوا : وأخطأ في البيت الثاني أيضاً فقال : تأبي بدرتها ، أي تأبي

(١) الألقى : جمع لحي ، وهو ما ينبت عليه العارض ، والمراد جانب الوجه.

(٢) ويروى : (تنوخ) بالملفة ، وهما بمعنى ساخ في الشيء ، أي دخل وخاض فيه .

الجرى إذا أكرهت عليه فجعلها حروناً إذا حرّكت قامت ، وأخذ الحميم ، أي العرق ، يتبضع منها ، أي يتفجّر ويسيل . قال أبو هلال في الصناعتين : وما وصف أحد الفرس بترك الانبعاث إذا حرّكت غير أبي ذؤيب ، وإنما توصف بالسرعة في جميع حالهما إذا حرّكت أو لم تحرك ، فتشبه بالكوكب والبرق والحريق والريح إلى آخر ما ذكره .

وقيل : كان أبو ذؤيب لا يجيد وصف الخيل فظن أن هذا مما توصف به .

قلنا : وفي الذي أخذوه عليه في البيت الثاني نظر لأنه علق إباءها على الإكراه ، والمعروف في صفة الفرس الجواد أنك إذا حرّكته للعدو أعطاك ما عنده عفواً ، فإذا أكرهته بساق أو بسوط لتحمله على الزيادة حملته عزة نفسه على ترك العدو فهو يقول : إنما تأبى بدرّتها عند إكراهها ولا تأبى العرق ، كذا في اللسان وشرح ديوانه .

(ومنه) قول سلمة بن الخرشب :

إذا كان الخزام لقصريه أماماً حيث يمتسك البريم^(١)

قال القاضي الجرجاني في الوساطة : "يقول : إن الخزام يقرب في جولانه إذا أكثر من عدوه فيصير أمام القصرين . قال الأصمعي : أخطأ في

(١) القصريان : ضلعان تليان الترقوتين ، والرواية في نسخة الوساطة : (لقصريها) ولا يخفى أنه يذكر فرساً ذكراً فالوجه (لقصريه) وإلا لا يصح الانتقاد . والبريم هنا : خيط تعقد عليه العودّة ويعلق على صدر الفرس (راجع مادة جلب في اللسان ص ٢٦٤).

الوصف لأن خير جرى الإناث الخضوع ، وأبدا يختار الإشراف في جري
لذكور ، فإذا اختضعت تقدم الحزام كما قال بشر بن أبي خازم :

تسوق للحزام بمرفقيها يسدّ خواء طبييها الغبار^(١)

وقد ساعد متمم بن نويرة على هذا الوصف سلمة فقال:

وكأنه فوق الحبال جائباً ريم تضايقه كلاب أخضع^(٢)

فوصف الذكر بالخضوع وإنما يختار له الإشراف " انتهى .

(ومنه قول عديّ بن زيد في صفة فرس :

لصاف يفريّ جلّه عن سراته يبذّ الجياد فارهاً متايعا^(٣)

أي صاف هذا الفرس يشقّ جلّه عن ظهره من السمن . قالوا : وقد
اخطأ في قوله فارهاً لأنه لا يقال لفرس : فاره ، وإنما يقال له : جواد وكريم
وعتيق ، وأما الفاره فالكودن والحمار والبغل . وفي لسان العرب " زعم أبو
حاتم أنّ عدياً لم يكن له بصر بالخيّل وقد خُطّيّ عديّ في ذلك " . ووقفت في
نبذة عندي مخطوطة منقولة من الفوائد النجفية لسليمان بن عبد الله البحرانيّ

(١) الخواء (بالفتح) : الفرجة التي بين رجلي الفرس ، ويقال أيضاً : دخل فلان في خواء فرسه : يعني ما بين يديه
ورجليه . والطبي (بضم الأزل وكسره ويسكون الثاني) : حلمة الضرع .

(٢) الأخصع : المطاطى الرأس وهو صفة للريم ، وجاء في حواشي نسخة لوساطة " وفي نسخة ثانية فوق الجواب
بدل فوق الحبال " ولتحقق هذا الشطر .

(٣) رواية (جله) هي المذكورة في مادة فره من اللسان وفي كتب الأدب كالعقد وغيره . وروى (جلده) في مادة
فرا من اللسان وفسره بأنه صاف يكاد يشقّ جلده عما تحته من السمن . والتابع : الإسراع .

على نقول من كتاب لحن العامة لأبي حاتم السجستاني ، منها قوله : "ويقال : فرس رائع ولا يقال : فاره ، الفاره للحمار والكلب ، وفي شعر عديّ فارهاً متتابعاً فسألت الأصمعيّ عنه فقال : لم يكن صاحب خيل ، قلت : فيقال : برذون فاره ، فقال : لعله ، ولعله يقال في البختيّ".

(ومَن) أخطأ بوضع الغلظ موضع الدقة كعب بن زهير في قوله يصف

الناقة :

ضخم مقلدها عبل مقيدها في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

فقد عدّ أبو هلال في الصناعتين قوله : ضخم مقلدها من خطأ الوصف

لأن النجائب توصف بدقة المذبح ، وهو قول غيره من الأئمة أيضاً .

(ومثله) قول الشماخ في ناقته :

فنعم المعتري ركدت إليه رحا حيزومها كرحا الطحين^(١)

الحيزوم : الصدر . والرحا الأولى : الكركرة ، وهي ما يمسّ الأرض

من صدر البعير إذا برك ، شبهها في العظم بالرحا التي يطحن بها . قال المرزبانيّ

في الموشح : وإنما توصف النجائب بصغر الكركرة ولطف الخفّ . وذكر ابن

رشيق في العمدة : أن الأصمعيّ خطّاه في هذا لأنه ظنه يصفها بالكبر ، وهو

عيب لا محالة ، وإنما وصفها بالصلابة لا غير . وفي الصناعتين لأبي هلال :

"وقال : من احتجّ للشماخ إنما شبهها بالرحا لصلابتها كما قال :

(١) المعتري بصيغة اسم المفعول : المقصود طلباً لمعرفه . وركدت : سكنت وهدأت .

* قلائص يطحن الحصى بالكراكر * "

(وأخطأ) أبو النجم في وصفه بالقصر ما يوصف بالسيوطة ، فقال في

البعير :

* أخنس فس مثل الكظام مخظمة"

الأخنس : القصير الأنف . والمخطم : الأنف ، يقول : كأن أنفه

لقصره مشدود بجبل . قال أبو هلال : إته من خطأ الوصف لأن المشافر إنما

توصف بالسيوطة .

(ومن) وضع الشيء في غير موضعه قول المتلمس^(١)

وقد أتتاسى همّ عند احتضاره بناج عليه الصيّرية مكدّم

الناحي هنا : البعير السريع . والصيّرية : سمة للإناث خاصة تؤسم بها

الناقة في عنقها ، وهو وسم لأهل اليمن فأخطأ المتلمس في جعلها للفحول

وسمعه طرفة بن العبد ، وهو صبي ، يشند هذا البيت فقال : (استتوق الجممل

أي صار ناقة ، فضحك الناس وسار قوله مثلاً .

(وقال) لييد:

ولقد أغوص بالخصم وقد أملاً الجفنة من شحم القلقل

(١) نسبة المرزباني في الموشح للمسيب بن علي ، وذكر أن قصة طرفة كانت معه ، ومثله في الموازنة للآمدي

واللسان وسر الفصاحة . ونسب للمتلمس في الصناعتين وطبقات الشعراء لابن قتيبة والعقد الفريد وما يجوز

للشاعر في الضرورة للتميمي.

أعوص به ، أي ألقى عليه أمره والقليل : جمع قلة ، وهي أعلى السنام .
قال أبو هلال والمرزباني : أراد السنام ولا يسمى السنام شحماً .

(ومن الخطأ في المعاني ما رواه المرزباني في الموشح قال : قال الأصمعي :
قرأت على أبي عمرو بن العلاء شعر النابغة الذبياني فلما بلغت قوله :

مقدوفة بدخيس النحض بازؤها له صريف صريف القعو بالمسد^(١)

قال لي : ما أضرب عليه في ناقته ما وصف ، فقلت له : وكيف ؟ قال :
لأن صريف الفحول من النشاط ، وصريف الإناث من الإعياء والضجر ، كذا
تكلمت العرب ، فرآني بسكوتي مستزيداً فقال : ألم تسمع قول ربيعة بن
مقروم الضبي :

كِنَازِ البَضِيعِ جُمَالِيَّةٍ إِذَا مَا يَغْمَنُ تَرَاهَا كَثُومًا^(٢)

وكما قال الأعشى :

كُتُومِ الرُّغَاءِ إِذَا هَجَّرَتْ وَكَانَتْ بَقِيَّةَ ذَوْدِ كُثُومٍ^(٣)

وكما قال الأعشى أيضا :

(١) دخيس النحض : اللحم الكثير الكثير ، يريد أنما ناقة سمينة . وقوله : بازها أي ناهما له صوت كصوت القعو بالمسد ، أي البكرة بالحبل .

(٢) معناه : أنما ناقة كثيرة اللحم تشبه في خلقها الجمال تراه لا تبغم إذا بغمت النوق من الإعياء .

(٣) هجرت : سارت في الهجرة والذود : النوق ما بين الثلاث إلى العشر على الأشهر . ومثله قول الآخر
(كثوم الهواجز ما تنبسى) . وقول الطرماح :

قد تجاوزت هلواعة غير أسفار كثوم البغام

والمكاكيك والصحاف من الفضّة واضافات تحت الرحال^(١)

انتهى . قلنا : والنصوص اللغوية التي وقفنا عليها تؤيد ما ذهب إليه ابن العلاء ، وهو ما حكاها أيضا الوزير أبو بكر البطليوسي في شرح ديوان النابغة ، غير أنه ذكر قولاً آخر عن أبي زيد بأن الصريف يكون في الإناث والفحول من النشاط ومن الإعياء ، قال : والبيت لا يحتمل أن يكون إلا من النشاط . ثم نقل قولاً آخر عن القُتَيْبِيِّ بأن الناس يغلطون في مراد النابغة ، فيقولون : إنه وصفها لذلك لنشاطها ، وليس هو كذلك ، ولكنه أراد ألى تركتها بعدما كانت فيه من الشدة يصرف ناهياً . والصريف : إذا كان ممن الإناث فهو من الإعياء .

(ومنه) قول بشامة بن القدير يصف راحلته :

وصدر لها مهيع كألخليفة
تخال بأن عليه شليلا

أي لها صدر واسع كالطريق في الجبل تخال عليه مسحا من صوف ، أو شعر ، لكثرة ما عليه من الوبر . قال ابن رشيق في العمدة : إن الأصمعيّ خطأه فيه لأن من صفة النجائب قلة الوبر .

(ومنه) قول عمر بن لجبا من أرجوزة وصف فيها إبله ، فجعلها كالجبال في عظم الخلق ، ثم قال في فحلها :

* كالظرب الأسود من ورائها *

(١) المكاكيك : مكوك ، وهو طاس للشرب أعلاه ضيق ووسطه واسع . والضاغرات : التي لا ترغو .

والظرب : الجبل الصغير ، ولا يوصف الفحل بأنه أصغر من إنائه في الخلقة ، وقد عابه عليه جرير ، فكان أحد الأسباب التي أهاجت الهجاء بينهما .
وتفصيل الكلام في ذلك في خزانة البغداديّ (٣٦١:١).

(ومنه) قول طرفة بن العبد في وصف نعجة :

من الزميرات أسبل قادمها وضربتها مركنة درور

الزميرات : القليلات الصوف ، وخصّها بالذكر لأنها أغزر الباناء .
والقادمان : الخلفان اللذان في الأمام ، ويقال لما وراءهما : الآخران . والمركنة :
التي لها أركان . والدرور : الكثيرة الدرّ .

يقول : هذه النعجة أسبل خلفها القادمان ، وضربتها مملوءة تدرّ باللبن ،
وهذا من الخطأ ، لأن النعجة ليس لها إلا خلفان ، وإنما يصحّ ذلك في الناقة ،
لأنّها أربعة أخلاف قادمان وآخران . قال المرزبانّي في الموشح بعد أن أورد
هذا البيت : "ولا يكون القادمان إلا لما له آخران، وتلك الناقة لها أربعة
أخلاف . ومثله قول امرئ القيس :

إذا مُثِّت قوادمها أرئت كأنّ الحميّ بينهم نعيّ "

النتهى . قلنا : هو من أبيات قالها لما نُهيت إبله ، ووهبه بنو نبهان معزى بدلها .
والمعنى : إذا مُسحت قوادمها عند الحلب صاححت كما يصبح قوم لنعيّ أناهم .
والخطأ على هذه الرواية كالحطأ في قولها طرفة ، لأنّ المعزى ليس لها إلا خلفان ،
وهي رواية تفرّد بها المرزبانّي والمعروف : (إذا مُثِّت حواليتها) ويروى : (إذا ما

قام حالها) . وما أحسن ما عزى امرؤ القيس به نفسه في ختام هذه الأبيات
فقال :

فتملاً بيتنا أقطاً وسماً وحسبك من غتى شبع وري

(ومنه) قول رؤبة:

وكلّ زجاء سحام الخمل تبرى له في زعلات خطل^(١)

الزجاء : النعامة . وسحام الخمل : سوداء الريش . وتبرى : أي تنبري
وتتعرض . والزعلات : الخطل النشيطات المضطربات . يقول : هذه الإناث
من النعام تنبري وتتعرض للظليم — أي ذكرها — وهي في طائفة من نوعها
نشيطات مضربات بالطوي والتبختر . قال أبو هلال وابن عبد ربّه وابن قتيبة:
أخطأ في جعله للظليم عدّة إناث كما يكون للحمار ، وليس للظليم إلا أنثى
واحدة.

(ومنه) قول ذي الرمة يصف حُمراً وحشيّة:

فأقبل الحُقب والأكباد ناشزة فوق الشراسيف من أحشائها تجب

حتى إذا زلجت عن كلّ حنجرة إلى الغليل ولم يقصعنه نُقب

رمى فأخطأ والأقدار غالبية فانصعن والويل هجّيراه والحرب

(١) الزعلان (بالزاي) عن الديوان وشرحه ، وورد في بعض الكتب الرعلات (بالراء) ولعلها رواية أخرى ،
والرغلة : النعامة.

معناه : أقبلت الحقب — أي الحُمُر — وأكبادها تضطرب خوفاً من الصائد حتى إذا وردت الماء ودخلت منه تغب إلى أجوافها لم تكسر غليلها رماها فأخطأها وتفرقت عنه قال أبو عمرو والأصمعيّ : وليس هذا من جيد الوصف لأنها إذا شربت ثقلت وإن كانت لم ترو : يريدان أن الثقل يقلل نشاطها في العَدُوّ ويمكّن الصائد منها ، فكأنه وصفها بما يفيد عكس ما أراد . وقد أصاب عليّ بن حمزة البصريّ في الردّ عليهما في التبيهات بما نصّه : "وهذا غلط إنما تثقل إذا رويت، وأما إذا شربت قليلاً فإنه يقويها على العَدُوّ، ولولاه لهلكت عطشاً . وقد زاده شرحاً بقوله في غير هذه الكلمة :

فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها وقد نشحن قلا ريّ ولا هيم^(١)

ولولا صحة ما قال لم يقل العجاج :

حتى إذا ما بَلَّت الأغمارا رِيّاً ولَمَّا تقصع الأصرارا

أجلى نفارا وانتحت نفارا "

انتهى . (ومنه) قول رؤبة :

كنتم كمن أدخل في حَجْرٍ يدا فأخطأ الأفعى ولا قى الأسودا

يريد : نجوت من شرّ فوقتكم في أشدّ منه . قالوا : وقد أخطأ في ظنّه

الأفعى دون الأسود ، وهي أشدّ مضرّة ونكاية منه .

(وَمَا) خطأوا فيه المسيّب بن علس قوله :

(١) أي ذهب هذه الحمر الوحشية هاربة بعد أن شربت شرباً قليلاً تقطع به عطشها فهي لا رواء ولا عطاش.

وكانَ غارِها رِباوةً مَحْرَمٍ وتمدّ ثنيّ جديها بشراع

أراد وصف هذه الناقلة بطول العنق وتشبيهه بالدقل^(١)، وهو خشبة طويلة تشدّ في وسط السفينة يمدّ عليها الشراع فقال: كأنّ زمامها ممدود بشراع لطول عنقها، فأخذوا عليه ذكره الشراع بدل الدقل. وقال بعضهم: إنّما أراد بالشراع: الدقل إذ كان الشراع منوطاً به، ومثله لا يعدّ خطأً، ولمن يريد أن يخطئه من وجه آخر أن يقول: أراد أن يمدحها فدمّمها لأنّ طول العنق في الإبل هجئة عند أبي عمرو والأصمعيّ، وكانا يعييان على رؤية قوله في وصف بعير:

عن دوسريّ تبع مملمة في جسم خدل صلهيّ عمّة^(٢)

غير أنّ عليّ بن حمزة البصريّ خطأهما في هذا الزعم فقال في التبيهات "قولهما طول العنق هجئة ردّ على كلام العرب المأثور، وشعرهم المشهور، لا على رؤية وحده، وهذا سبيلٌ من ركبته ضلّل، ومن نصره جُهلٌ" ثمّ أورد قول من قال: (أبين الإبل عتقا أطولها عنقا) وساق عشرين شاهداً من كلام العرب تفنّد ما ذهبوا إليه.

(ومنه) قول أيمن بن خُرَيْم^(٣) يمدح بشر بن مروان:

(١) الدقل (بفتحين): هو ما يسمى عند الملاحين بالصاري على ما في اللسان.

(٢) جل دوسري: قوي ضخم ذو هامة ومناكب. وتبع الملمم: أي طويل العنق مع شدة مغرزة. والخدل:

العظيم المتلن. والصلهي: الشديد. وعممه: أي تامه.

(٣) بالراء مصغراً.

وإنا قد رأينا أم بشر كأم الأسد مذكاراً ولوداً^(١)

قالوا : أخطأ في أن جعل أم الأسد ولوداً لأن الحيوانات الكريمة عسرة
نزرة النتاج ، والصواب قول كثير :

بُغيات الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات تزور

كذا في الموازنة والصناعتين ، وهو المعروف المشهور .

ومثله ما أنشده صاحب اللسان في مادة (قلت) لبعضهم :

لنا أم بما قلت ونزر كأم الأسد كاتمة الشكاة

(ومنه) قول العجاج يصف بعيره :

كان عينيه من الغوور قلتان أو حوجلتا قارور

صيرتا بالنضج والتصير صلاصل الزيت إلى الشطور

القلت (بفتح السكون) : النقرة في الجبل تمسك بالماء . والحوجلة القارورة .

والصلاصل هنا : بقايا الزيت ، شبه عينيه حين غارتا بقارورتين بقي ما فيهما

من الزيت إلى نصفيهما بسبب النضج . قالوا : وقد أخطأ لأنه جعل الزجاج

ينضح ويرشح ، وإنما تنضح الجرار ونحوها .

(ومنه) قول يزيد بن محمد المهلب من أرجوزة :

حتى إذا السرب انبرى فاجتهدا حطت عليهن البزاة مددا

^(١) رواية قدامة في نقد الشعر : (وإنا قد وجدنا).

تجمع منها كل ما تبسّدا تصيد بجرأ وتصيد جددا

من كل ما أحببت أن تصيّدا سمكة أو طائراً أو أسدا

قال المزيبي في الموشح : " قال محمد : أحال في هذا البيت لأنه ذكر البزاة ،
وليس السمك من صيد البزاة " .

(ومنه) قول حميد بن ثور^(١)

لما تخاللت الحمول حسبتها دوماً بأيلة ناعماً مكموماً^(٢)

والتكميم لا يكون إلا في النخل ، وهو أن تجعل الكبائس في آكمة تصوفها كما
تجعل عناقيد الكرم في الأغطية كما في المخصّص . ولم يكن هذا العربي يجهل
النخل والدوم ، ولكنه لما رآهم يكمّون النخل ورأى الدوم يشبهه ظنّ أنه يكمّ
مثله لجهله بالفرس وتعهّد أنواع الفرس . قال التميمي في ما يجوز للشاعر في
الضرورة : ومن يحتج له يرويه : (مخلاً) .

وفي معناه قول النابغة الجعدي :

كان تواليها بالضحى نواعم جعل من الأثاب^(٣)

وقد أخطأ فيه أيضاً ولكن من وجه آخر لأنه شبه المطي بصغار النخل ،
والوجه أن توصف بالكبر والعظم كما فعل حميد . قال القاضي الجرجاني في

(١) كذا في ما يجوز للشاعر في الضرورة ، ونسبه في العقد الفريد لأبي الطمّحان القيبي .

(٢) أيلة (بالضحية) : مدينة على ساحل بحر القلزم لما يلي الشام . وفي بعض الروايات في البيت (أئلة) بالمثلثة ،

وهو موضع قرب المدينة ، وتطلق أيضاً على قرية بالجانب الغربي من بغداد .

(٣) توالي الخيل والإبل : ماخرها ، وكذلك توالي كل شيء . والأثاب : ضرب من الشجر .

الوساطة : "والجعل : صغار النخل ، وإنما المراد الكبار ، وبه يصح الوصف فيما زعموا " انتهى .

وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة : أن الذي أخذ عليه فيه جعله الجعل من الأثاب ، قال : "ولا أراه إلا صحيحاً على التشبيه ، كأنه أراد نواعم أثاب كالجعل ، وقد تسمى العرب الشئ باسم الشئ إذا كان له مشبهاً ، ولعل الأثاب أن تكون تسمى أفناؤه^(١) جعلاً ، كما تسمى أثناء النخل وقصاره جعلاً" انتهى ولا يخلو من نظر .

(ومنه) قول المرّار بن مُنقذ يصف نخلاً :

كَانَ فروعها في كلّ رِيحٍ جوارٍ بالدوائب يتصينا

يريد : كان هذه النخل إذا أمالتها الريح وتلاقي سعتها جوار يتنازعن ويتبارين بأن تأخذ الواحدة بناصية الأخرى فذهب أبو عمرو الأصمعيّ إلى أن المسوّار لم يكن له علم بالنخل في وصفها بتقارب التّبات لأن أفضل الغرس ما بُوعد بينه . ومما وضعته العرب على السنة الأشياء قول النخلة الأخرى :

أُبْعِدِي ظِلِّي من ضِلِّكَ أَحْمِلْ حَمْلِي وَحَمَلْكَ

وتبعهما أبو حنيفة الدينوريّ في كتاب النبات ، فقال في تفسير هذا البيت : هذا من التقارب حتّى ينال سعف بعضه سعف بعض ، وذلك هو الحَصْر ، أي التضايق وردّ عليهم عليّ بن حمزة البصريّ في التنبهات بكلام طويل خلاصته :

(١) كذا بالنسخة ، ولعل الصواب : (أثناء) بالمشاة الفوقية جمع الفتي من الحيران وتوسع هنا فأطلقه على النبات .

أَنَّ الْحَبْرَ تَقَارِبَ مَا بَيْنَ الْأَصُولِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ، وَخَطَأَهُمْ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ النَّخْلَ
يَتَنَاصَى مِنَ الْحَصْرِ لِأَنَّ سَبِيلَهُ أَنْ يَبَاعِدَ بَيْنَ غَرَسِهِ ، وَلَكِنْ مِنْ جَيْدِ نَعْتِهِ أَنْ يَمْتَدَّ
جَرِيدُهُ وَيَكْثُرَ خَوْصُهُ وَيَتَّصِلَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ حَتَّى لَا تُرَى مِنْهُ الشَّمْسُ ، وَيَمْنَعُ
الطَّيْرَ مِنْ أَنْ تَشَقَّهُ ، وَإِنَّ مَا رَوَى عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَلَى لِسَانِ النَّخْلَةِ نَقْلَهُ عَنْهُ أَبُو
حَنِيفَةَ ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لِمَا نَقَلَهُ عَنْهُ أَبُو حَاتِمٍ فَقَالَ : " قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فِي مَثَلٍ
لِلْفَرَسِ وَالنَّبْطِ : تَقُولُ النَّخْلَةَ لِأَخْتِهَا : تَبَاعَدِي عَنِّي ، وَأَنَا أَجْمَلُ حَمْلِكَ وَجَمَلِي " ^(١)
أَيُّ قَلَمٍ يَذْكَرُ فِيهِ تَبَاعُدُ الظِّلِّ . ثُمَّ صَوَّبَ قَوْلَ المَرَّارِ وَقَالَ : لَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنْ
هَذَا الوَصْفِ لِلنَّخْلِ ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَى صِحَّةِ كَلَامِهِ بِقَوْلِ ذِكْوَانَ العَكْلِيِّ :

نَوَاضِرٌ غُلْبًا قَدْ تَدَانَتْ رِءُوسُهَا مِنْ النَّبْتِ حَتَّى مَا يَطِيرُ غَرَابِهَا ^(١)

تَرَى البَاسِقَاتِ العَمَّ مِنْهَا كَأَنَّهَا ظِعَانِ مَضْرُوبٍ عَلَيْهَا قَبَائِهَا ^(٢)

بَعِيدَةٌ بَيْنَ الزَّرْعِ لَا ذَاتَ حَشْوَةٍ قِصَارٌ وَلَا صَعْلٌ سَرِيعٌ ذَهَابُهَا

(وَمِنْهُ) قَوْلُ أَوْسَ بْنِ حَجْرٍ :

كَأَنَّ رَيْقَتَهَا بَعْدَ الكَرِيِّ اعْتَبَقَتْ مِنْ مَاءِ أَدَكْنِ فِي الحَانُوتِ نَضَّاحٍ ^(٣)

وَمِنْ مَشْعَشَعَةِ كَالْمَسْكَ تَشْرِبُهَا أَوْ مِنْ أَنَابِيبِ رَمَانَ وَتَفَّاحٍ

قَالَ أَبُو هَلَالٍ فِي الصَّنَاعَتَيْنِ : " ظَنَّ أَنَّ الرَّمَانَ وَالتَّفَّاحَ فِي أَنَابِيبٍ وَقِيلَ : أَنَّ
الْأَنَابِيبَ : الطَّرَائِقَ الَّتِي فِي الرَّمَانَ ، وَإِذَا حَمَلَ عَلَى هَذَا الوَجْهِ صَحَّ المعْنَى " .

(١) الغلب : جمع غلباء ، وهي الحديقة المتكاثفة الملتفة .

(٢) العم من النخل : التامة في طولها والفضالها .

(٣) أي من حمر دن أدكن اللون .

(ومنه) قول بعضهم في وصف سيف :

* وأبيض أخلص من ماء اليلب *

قال ابن مُنقذ في كتاب البديع : "والسيوف لا تعمل من ماء اليلب لأن اليلب جلود تتخذ منها دروع منسوجة فتوهم الشاعر أنّها حديد". ورواه القاضي الجرجاني في الوساطة : (ومحور) بدل وأبيض ، ولعل المراد الحديدة التي تدور عليها البكرة ، وقد خطأه فيه أيضاً فقال : "جعل اليلب حديداً وهي سيور".

قلنا : هما تابعان في ذلك لابن دُرَيْد لأن اليلب ليس عنده الحديد .
وذهب غيره إلى آله الحديد ، وفسره به في قول عمرو بن كلثوم :

علينا اليبض واليلب اليماني وأسيف يقمن وينحنينا

وعلى هذا فلا خطأ ، ولكن ابن السكيت خطأً الراجز من وجه آخر فقال بصد ذكره لبيت ابن كلثوم : سمعه بعض الأعراب فظن أن اليلب أجود الحديد فقال : (ومحور أخلص من ماء اليلب) وهو خطأ إنما قاله على التوهم . انتهى .

(ومنه) قول زهير :

يحيل في جدول تحبو ضفادعه حبو الدجوارى ترى في مائه نُطقاً^(١)

يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفن الغم والغرقا^(٢)

(١) النطق : الطرائق التي تملو الماء.

(٢) الشربات: جمع شربة (بفتحين) وهي كالحويض يحفر حول النخلة والشجرة ويملأ ماء لتروى منه.

ففى العقد والوساطة والموشح وسرّ الفصاحة والموازنة والصناعتين وطبقات الشعراء لابن قتيبة : أنه أخطأ في ظنه أن الضفادع تخرج من الماء مخافة الغمّ والغرق، وإنما تخرج لتبيض وتفرخ في الشطوط . وقال الأعلام في شرحه لديوان زهير : "قوله: يخفن الغمّ والغرقا توهم أن خروج الضفادع مخافة الغرق فغلط ، ويقال : إنما قال ذلك ليخبر بكثرة الماء وانتهائه ، فأشار إلى ذلك بذكره الغرق وإن كانت لا تخاف ذلك : . ونحوه في العمدة لابن رشيق ، وخلاصة ما قال : إنه لم يرد أنها تخاف الغرق على الحقيقة ، وإنما أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات ، واقتدى فيه بقول أوس بن حجر :

فباكرن جونا للعلاجيم فوقه مجالس غرق لا يُحَلأ ناهله^(١)

(ومما أخذوه) على طرفة قوله في وصف ناقته :

وأتلع فمّاض إذا صعّدت به كسكّان بوصي بدجلة مُصعد

أراد : لها عنق أتلع : أي طويل يرتفع إذا أشخصته في سيرها ، فهو كسكّان سفينة مصعدة في دجلة ، والسكّان (بضم الأوّل وتشديد الكاف) : ذنوب السفينة الذي يقوم به سيرها ويعدل ، ويقال له أيضاً : الخيزانة والكوثل . وتسميه العامة بمصر الآن (الدقة) فذهب القاضي الجرجاني في الوساطة إلى أنه أخطأ ، لأنه أراد تشبيه عنقها بالدقل : أي خشبة الشراع ، فذكر بدله السكّان.

(١) العلاجيم هنا : الضفادع ، واحداها علاجوم . وحلاه عن الماء : طرده ومنعه .

قلنا : ولا ريب في خطئه إذا كان أراد ذلك ، غير أن البيت يحتمل وجهين آخرين لا خطأ فيهما ، أحدهما : أن يكون شبهه بالسكان نفسه ، أي الذنب لا الدقل ، وهو ما يؤخذ من معاجم اللغة وشروح المعلقات التي بأيدينا . والثاني : أن يكون شبهه بالسكان مريداً به شيئاً آخر غير الذنب ، وهو المفهوم من شرح الأعلام الشتمريّ لديوان طرفة ، فقد فسّر السكان في هذا البيت بعود المركب . والمتبادر أنه يريد بالعود شيئاً كالدقل ، أي (الصاري) وهو تفسير كاد يتفرّد به ، ولم نقف على ما يماثله سوى في قول عليّ بن حمزة في التيهات : "شبه عنقها بسكان سيفقة من سفن دجلة ، وربما كان أطول من الدقل وشرّ أحواله أن يكون بطول الدقل" انتهى . فدلّ بقوله هذا على أنه شئ يشبه الدقل ، ولكنه أطول منه ، وقد يكون بطوله في أقلّ حالاته ، ولا يخفى أن الذنب له طرف ناقص ، ولكنّه لا يبلغ في حال من الأحوال مثل هذا الطول ، فلا ريب في أن المراد بالسكان في هذا القول شئ غيره ، ولعله العود الطويل الذي يمدّ عليه الشراع ثم يناط معترضاً بالدقل . وتسميه العامة بمصر : (القرية) فإنها تكون عادة أطول من (الصاري) ، وهي محرّفة عن (القرية) بفتح فكسر وتشديد الياء . وقد فسّرت في اللغة بعود الشراع الذي في عرضه من أعلاه ، غير أننا لم نر من نصّ على تسمية هذا العمود بالسكان أيضاً فليحقق .

(ومنه) قول عنتره :

وخلا الذباب بما فليس يبارح غرداً كفعل الشارب المترسم
هزجاً يحكّ ذراعاه بذراعاه قذح المكب على الزناد الأجم

أي أنّ الذباب يصوّره حال حركته إحدى ذراعيه بالأخرى ، مثل قذح
رجل ناقص اليد قد أقبل على قذح الزناد . وجاء في مجئة البيان للعلامة
اليازجيّ : أنّ صوت البعوض والذباب والنحل وأشباهاها يحدث من اهتزاز
أجنحتها في الهواء على حدّ ما يكون من أجنحة الحمام وعلى هذا ففي قول
عنتره تناقض ظاهر لأنّه لا يمكن أن يحكّ الذباب إحدى ذراعيه بالأخرى إلّا
وهو واقع ، ومتى كان واقعا تكون أجنحته ساكنة فلا يمكن أن يصوت، ولكنّ
عنتره توهم أنّ صوته من حنجرتّه فلم يمتنع عنده الجمع بين هاتين الحاليتين .
انتهى بمعناه وأكثر لفظه .

القسم الثالث

ومن أسباب الوهم في المعاني استهواء المبالغة للشاعر، وتجاوزها به حدًا إذا تعدّاه عكس عليه مقصده ، كما فعل امرؤ القيس لما أراد المبالغة في وصف ذنب فرسه بالطول فقال:

لها ذنب مثل ذيل العروس تسدّ به فرجها من دُبُرٍ

يريد بالفرج : الفضاء الذي بين الرجلين ، وإذا كان الذنب كثيفاً طويلاً سدّ هذا الفضاء حتّى لا يبين . وطول الذنب مستحبّ في الخيل ، ومن دلائل عتقها وكرمها ، ولكن إلى حدّ ألاّ يكون كذيل العروس يُجرّ على الأرض لأنه إذا بلغ الأرض وطئه الفرس برجله وربما عثر به ، وهو عيب وتبعه في ذلك من المولدين البحتريّ فقال :

ذنب كما سحّب الرداء يذبّ عن عُرفٍ وعرف كالقناع المسبل

والجيد من ذلك قول امرئ القيس في المعلقة:

ضليع إذا استدبرته سدّ فرجه بضاف فوق الأرض ليس بأعزل

فوصفه بالطول إلّا أنّه جعله فوق الأرض فلم يقع فيما وقع فيه في بيته المتقدّم . أمّا كونه أراد في ذلك البيت بذيل العروس الطول المذموم فهو ما ذهب إليه ابن سنان في سرّ الفصاحة وعابه عليه . وقال ابن رشيق في العمدة : "أراد طوله لأنّ العروس تجرّ ذيلها إمّا من الحياء ، أو من الخيلاء " ؟ . ومن يحتجّ له يقول إمّا أراد بهذا الوصف الكثافة والطول المدروح ، وهو رأى الآمديّ ، ونصّ

عبارته في الموازنة^(١) : "وما أرى العيب لحق امرأ القيس في هذا لأن العروس وإن كانت تسحب ذيلها، وكان ذنب الفرس إذا مسّ الأرض عيباً فليس بمنكر أن يشبه به الذنب وإن لم يبلغ أن يمسّ الأرض لأن الشئ إنما يشبه بالشئ إذا قرب منه أو دنا من معناه ، فإذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صحّ التشبيه ولاق به ، وأمرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط ، وإنما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ، ألا تراه قال : (تسد به فرجها من دبر) وقد يكون الذنب طويلاً يكاد يمسّ الأرض ولا يكون كثيفاً ، بل يكون رقيقاً نزر الشعر خفيفاً فلا يستدّ فرج الفرس . فلما قال : تسدّ به فرجها علمنا أنّه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول، فإذا أشبه الذنب الذيل من هذه الجهة، وكان في الطول قريباً منه فالتشبيه صحيح، وليس ذلك بموجب للعيب، ولا أن يكون ذنب الفرس من أجل تشبيهه بالذيل كما يحكم به على الشاعر أيضاً أنّه قصد إلى أن الفرس يمسّ على الأرض ، وإنما العيب في قول البحرّي : (ذنب كما سحب الرداء) فافصح بأنّ الفرس يسحب ذنبه .

ومثل قول امرئ القيس قول خدّاش بن زهير :

ها ذنب مثل ذيل الهدى
إلى جوجؤ أيد الزافر

والهدى : العروس التي تمدى إلى زوجها . والأيد : الشديد . والزافر : الصدر لأنها تزفر منه ، فإنما أراد بذيل العروس طوله وسبوغه ، فتشبه الذنب السابغ به وإن لم يبلغ في الطول إلى أن يمسّ الأرض " انتهى كلام الآمديّ .

(١) نقلها عنه البغدادي في الخزانة (٤: ٢١) وولعت في كلتي النسخين أغلاط فالتبنا ما صح من العبارتين.

ولم يكف امرؤ القيس بأن جعل ذنب فرسه يجرّ على الأرض إن صحّ
أنه أراد ذلك حتّى أبرز لنا وجه هذه الفرس مجللاً بشعر الناصية لا تكاد تبصر
منه الطريق فقال :

وأركب في الروع خيفانة على وجهها سَعَف منتشر^(١)

وكأنه خشى أن يظنّ بها السّفى ، وهو خفة الناصية ، فوصف شعرها بالطول
والكثرة ، وحملته المبالغة على جعله كالسعف على وجهها وقد عاب عليه هذا
الوصف شارح ديوانه الوزير البطليوسى ، وأبو هلال في الصناعتين ، وابن
سنان في سرّ الفصاحة ، والجرجانيّ في الوساطة ، والمرزبانيّ في الموشح . وروى
الآمديّ في الموازنة عن أبي حاتم عن الأصمعيّ ما نصّه : "شبه شعر الناصية
بسعف النخلة ، والشعر إذا غطّى العين لم يكن الفرس كريماً ، وذلك هو الغمم ،
والذي يحمّد من النواصي^(٢) الجثّلة ، وهي التي لم تفرط في الكثرة ، فتكون الفرس
غمّاء ، والغمم مكروه ، ولم تفرط في الخفة فتكون سفواء ، والسّفى أيضاً مكروه
في الخيل " انتهى .

قلنا : ومنه يعلم ما في قول البحرّيّ في بيته المتقدّم : (وعرف كالقناع
المسبل) وعندنا أنه أشدّ تغلغلاً في الخطأ من وصف امرئ القيس .

وكأننا بالطرمّاح أشفق أن يكون ذنب ناقته دون ذنب فرس امرئ
القيس ، ولم يفطن إلى أنّ طول الذنب في الإبل غير مستحسن فقال :

(١) في نسخة الوساطة (شعر منتشر)

(٢) في الأصل : (في الناصية) ومعنى الجثل من الشعر : الكثر الملتف ، أو ما غلظ منه وقصر .

تمسح الأرض بمُعْتُونِسٍ مثل مثلاة النياح القيام^(١)

فأخطأ خطأين كان في غنى عنهما ، لولا أن المبالغة استدرجته إلى الأول فتمهّد له السبيل إلى الثاني.

أما الأول : فجعله الذنب يمسح الأرض ، وإذا كان طول له قبيحاً مذموماً في الإبل فبلوغه إلى هذا الحدّ أقبح وأدعى إلى الذمّ .

والثاني : أنه أراد أن يشبهه بثوب يجرد ولم يشأ أن يسلب أمراً القيس ذيل عروسه ، فشبهه بمخرقة النائحة ، وهي لا تجرّها على الأرض ، ولا تبلغ في الطول أن تصلح لذلك ، وإنما هي كالمنديل تمسكها بيدها وتشير بها إذا قامت تنوح .

هذا تفسر ما أجمله المرزباني في الموشح عن هذا البيت بقوله : "أفصح بأن الذنب يمسّ الأرض وأساء في التشبيه أيضاً". وتبعه البحرى، ولكنه اقتصد هذه المرّة في الطول فقال :

سيحمل همّي عن قريب وهمتي قرى كلّ ذّيال جلال جلنفع

أي سيحمل همي وهمتي ظهر كلّ جمع طويل الذنب غليظ شديد . قال أبو سويلعلاء المعرّذي في عبث الوليد : "وصفه الجمل بذّيال قلما يستعمل . إنّما يوصف بذلك الفرس والثور الوحشي".

(١) المعتونس : الذنب الطويل . والمثلاة : مخرقه تمسكها النائحة بيدها إذا قامت للنياحة.

وكما أن طول الذنب غير ممدوح في الإبل فإن كثرة شعره غير ممدوح
أيضاً في نجائبها ، وقد جمعها طرفة لناقته فقال :

كَأَنَّ جَنَاحِي مَضْرَحِي تَكْتَفَا حِفَافِيهِ شُكْدَا فِي الْعَسِيبِ بِمَسْرَدٍ

أي كأن جناحي نسر عتيق عظيم تكتفا جانبي هذا الذنب وشكاً في عظمه
بمخصف . قال المرزباني في الموشح : "إنما توصف النجائب برقة شعر الذنب
وخفته ، وجعله هذا كثيفاً طويلاً عريضاً" ومثله في الصناعتين لأبي هلال وقال
التبريزي في شرح المعلقات : "قال الأصمعي : يستحب من المهاري أن تقصر
أذناها ، وقل ما ترى مهرياً إلا ورأيت ذنبه أعصل كأنه أفعى" إلا أنه قال بعد
ذلك : "وقال غيره : كلّ الفحول من الشعراء وصفوا الأذنان بكثرة الهُلب ،
منهم امرؤ القيس وطرفة وعينة بن مرداس وغيرهم".

قلنا: ولا نخالهم فعلوا ذلك إلا للمبالغة فيما كان الأولى فيه القصـد.
ومن هذا النوع قول ذي الرُّمة في ناقته :

تُصْفَى إِذَا شَدَّهَا بِالْكُورِ جَانِحَةٌ حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فِي غَرَزِهَا تَثْب

يقول : هي مؤدبة ليست بتفور تميل رأسها لصاحبها كأنها تستمع إذا شدّها
بالرحل ، ثم أراد أن يصفها بالنشاط فجعلها تثب عند وضع رجله في ركابها ،
وهي مبالغة جعلت نشاطها هوجاً ورعونة . وفي العقد الفريد والموشح : أن
أعرابياً سمعه ينشد هذا البيت فقال : صُرِعَ وَاللَّهِ الرَّجُلُ . وقيل : إنه أنشده أبا
عمرو بن العلاء فقال له : ما قاله عمك الراعي أحسن مما قلت ، وهو :

ولا تعجل المرء قبل الورو ك وهي بركبته أبصر

وهي إذا قام في غرزها كمثل السفينة أو أوقر

فقال ذو الرمة : إن الراعي وصف ناقة ملك ، وأنا أصف ناقة سوقة . قال
المرزباني في الموشح : "أراد أن يحتال فلم يصنع شيئاً" وذهب علي بن حمزة
البصري في التبيهات إلى أنه لم يخطئ ، وأن ما روى عنه من الاعتذار حكاه
الأصمعي فكذب فيه ، وأن مراد ذي الرمة حتى إذا ما استوى على ظهرها ،
وإذا كان كذلك فقد استوى في غرزها ، ثم قال : "وأبو عمرو مع عيه بيت
ذي الرمة قد أنشد مثله في نوادره ، بل هو أشد سرعة من بيت ذي الرمة ،
وهو :

إذا ما وضعت في غرزها الرجل أجفلت كما أجفلت بيدانة أم تولب

ثم لم يعب هذا البيت " انتهى.

ولو قال قائل : ما مانع من أن يكون أكثر ما ذكر في هذا القسم والذي
قبله لم يرد به قائلوه إلا ذكر الواقع ، فما على من كانت ناقته ضخمة المقلد ،
أو فرسه مسحوب الذنب على الأرض إذا وصفهما بحقيقة ما فيهما .

قلنا : لو كانوا أرادوا ذلك لما وجد العلماء سبيلاً إلى تخطئهم والنعي
عليهم ، كما فعلوا مع من فجع منهج الحقيقة من الشعراء ، وإنما أخذوا على
هؤلاء ما أخذوه ، لأنهم ذكروا أشياء حاولوا وصفها بما يحمدهم في نوعها ،
فتخيّلوا لها أحسن ما تمت به من النعوت ، ولحقهم الخطأ في بعضها جهلهم

بخصائص ما ينعنون ، ولو أنّ رؤبة أراد وصف ذاك الفرس بحقيقة ما فيه لما قال
لمن خطّاه : " أي بني لا علم لي بالخيل ، ولكن أدني من ذنب البعير " كما
تقدم .

القسم الرابع

ومن الأوهام في المعاني ما لا يرجع لسبب من الأسباب المتقدمة فلا يصحّ عدّه من أحد أقسامها، كأن يصنع الشاعر لفظة في موضع لا تصلح له لا لجهله بالشئ كما تقدّم ، بل لسهو أو خطأ في تقديره ، أو أن يسئ في التعبير إساءة تحمّل المعنى وتفسده ، إن لم تعكس الغرض المقصود منه ، أو أن يأتي بكلام غير متلائم الأجزاء ، أو فاسد التقسيم ، أو التشبيه أو غير ذلك ممّا يشبهه ويجري مجراه . وكثيراً ما تنشأ هذه الأوهام من التساهل ، إمّا لثقة الشاعر بقدرته وبمكانة شعره في النفوس ، أو لكلال يلحق طبعه في بعض الأحيان فيلقى بالكلام على عواهنه في البيت أو البيتين من القصيدة، ثمّ تمنعه تلك الثقة أو الضجر أو ضيق الوقت من إعادة النظر فيما قال .

(فمن ذلك) قول النابغة الذبياني:

ماضى الجنان أخى صبر إذا نزلت حرب يوائل منها كلّ تنبال

يوائل : يطلب الموتل ، وهو الملجأ . والتنبال : القصير ، أو الجبان وذكره هنا مفسد لمعنى البيت قال أبو هلال : " ليس القصير بأولى بطلب الموتل من الطويل ، وإن جعل التنبال الجبان فهو أبعد من الصواب لأنّ الجبان خائف وجل اشتدّت الحرب أم سكنت " . ومثله في الموشح للمرزباني باختلاف في العبارة .

وقال النابغة أيضاً يصف ناقته^(١)

(١) قال بعضهم: إله في وصف ثور ، ورواه (مجد).

تحيد عن أَسْتَنْ سود أسافله مشى الإمام الغواضي تحمل الحُزْمَا

الأستن (بوزن أحمز) : شجر إذا نظر لناظر إليه من بُعد شَبَّهه بشخوص الناس ، كذا في اللسان . وقال الأعلام الشنتمري في شرح الديوان : "شبه الأستن في سواد أسافله وطوله بإماء سود يحملن الحزم ، وأوقع التشبيه في اللفظ على المشى لأنه السبب في ظهور أسافلهن وتبين سوادهن ، وإنما خصّ اللواتي تحمل الحزم لأنهن إذا كانت عليهن الحزم مددن أيديهن فكان أطول هنّ " . وفي شرح الوزير أبي بكر البطليوسي : "شبه سواد أسافل هذا الشجر وما فوق ذلك من فروعه اليابسة بإماء سود على رؤوسهن حطب لأن لون هذا الشجر إذا كان أسفله أسود وأعلاه يابس الأغصان فكأنه حطب على رؤوس إماء سود" . والذي عيب عليه في هذا البيت من فساد المعنى قوله : (الغواضي) لأنّ الإمام تحمل الحطب بالعشى وهنّ روائح ، وأمّا إذا غدون إلى الصحراء فإنهنّ محفّات . قالوا : والجيد قول التلجيّ :

تظنّ بما رُبِدَ النعام كأنها إماء تُزجّى بالعشى حو:طب

وقد شبه النعام بالإماء وعلى ظهره حمل . وقال أبو هلال في بيت النابغة : "وقد روى : مثل الإمام ، وإذا صحّت الرواية سلم المعنى" .

قلنا : لم يظهر لنا وجه سلامة المعنى عنى هذه الرواية لأنّ أبا هلال لم يعب عليه قوله : (مشى الإمام) بل عاب عليه كغيره قوله : (الغواضي) وتغيير مشى بمثل لا يجعل تلك الإمام روائح حتّى يسلم المعنى به ، وإنما الذي يتنصر للنابغة يقول : أراد أنّ الإمام تغدو لتحمل الحطب رواحاً . وقال عليّ بن حمزة

البصريّ في التنبّهات : " كان أبو عبيدة يقول : لم يقله النابغة إلاّ عشاء تحمل الحزما " .

(وقال) النابغة أيضاً يصف ثوراً :

من وحش وجرة موشىّ أكارعه طأوى المصير كسيف الصيقل الفرد
قال أبو هلال : "أراد بالفرد أنّه مسلول من غمده ، فلم يبن بقوله الفرد عن
سلة بياناً واضحاً . والجيد قول الطرمّاح وقد أخذه منه :

يبدو وتضمّره البلاد كأنه سيف على شرف يُسلّ ويغمد

وهذا غاية في حسن الوصف " ومثله في طبقات الشعراء لابن قتيبة .

(ومما خطأوا) فيه النابغة أيضاً قوله :

الكني يا عيّن إليك قولاً ستحمّله الرواة إليك عني

الكني : أي كن رسولي وبلّغ ألوكتي : أي رسالتي . وفسره أبو هلال بأرسلني
فقال منتقداً البيت : " وليس من الصواب أن يقال : أرسلني إلى نفسك ثم قال :
ستحمّله الرواة إليك عني " وقال الآمدي : " قالوا : أكني : أي كن لي رسولاً ،
فكيف يكون أكني إليك عني ، فاعتذر له الأصمعيّ وقال : أهذا مما حمّله
الرواة عن النابغة ، كأنه يدفع أن يكون قاله " .

قلنا : من فسره بأرسلني راعي اللفظ فقط ، ومن فسره يكن رسولي
راعي المعنى ، ففي اللسان أن مقتضى لفظ : (أكني إليها برسالة) أن يكون
سلي إليها برسالة إلاّ أنّه جاء على القلب ، إذ المعنى : كن رسولي إليها بهذه

الرسالة ، فاللفظ يقضي بأن المخاطب مرسل ، والمتكلم مرسل ، وهو في المعنى بعكس ذلك . انتهى ملخصاً .

والذي أنكره هؤلاء الأئمة أجازه صاحب اللسان فقال : "وقد يكون المرسل هو المرسل إليه ، وذلك كقولك : ألكني إليك السلام ، أي كن رسولي إلى نفسك بالسلام، وعليه قول الشاعر " ثم استشهد بالبيت^(١) هذا فيما يتعلق بالصدر ، وأما إنكارهم قوله بعد ذلك : ستحملة الرواة إليك عني" وفسره الأعلام بقوله: أي كفّ عني في أمر إخواني بني أسد ، وكان عيينة بن حصن سام قوم النابغة أن ينقضوا حلف بني أسد فتوعده النابغة بالهجاء والحرب .
(ومما عابوه) على النابغة قوله:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأى عنك واسع
فقال المعترضون : تشبيه الإدراك بالليل يساويه إدراك النهار فلم خصّه دونه، وإنما كان سبيله أن يأتي بما ليس له قسيم . هذا خلاصة ما قيل في البيت ، والكلام فيه كثير حتى عدّه بعضهم في نقد الشعر من باب العبث ، وهو أن يقصد الشاعر شيئاً من الأشياء ليس لذكره فائدة . وقال المعتذرون للنابغة . إنما خصّ الليل بالذكر لأنه وصفه في حال سخطه فشبهه بالليل وهو له ، وهي

(١) روايته له :

الكني يا عتيق إليك قولاً ستهديه الرواة إليك عني

والظاهر أن لفظ : (عتيق) من تحريف النسخ ، والصواب : (عين) لنص الأعلام في شرحه لديوان النابغة

على أنه مخاطب عينة بن حصن .

كلمة جامعة لمعان كثيرة . وقيل : ذكر الليل لأنه أهول ، ولأنه أول ، ولأن أكثر أعمالهم كانت فيه لشدة حرّ بلدهم ، فصار ذلك عندهم متعارفاً .

(ومما خطأوه) فيه قوله :

كَأَنَّ حِجَاغَ مَقْلَتِهَا قَلِيبٌ مِنْ الشَّيْقِينِ حَلَقٌ مَسْتَقَاهَا

الحججاج : العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب والقليب : البئر . والشيقان : موضع . وحلق مستقاهما : غار ماؤها . والحججاج لا يوصف بأنه غائر كالقليب ، وهذا مما لا يخفى على أحد .

ومن ذلك قول بعضهم :

ونظعنهم حيث الكلى بعد ضربهم بيض المواضي حيث لي العمائم

أراد هذا الشاعر أن يذكر شجاعتهم ، ويصف بأسهم في قتال أعدائهم ، فأتى بما يدل على عكس ما أراد ، لأنهم إذا ضربوهم بالسيوف مكان لي العمائم : أي في رؤوسهم ولم يموتوا ، واحتاجوا بعد ذلك إلى طعنهم بالرماح في كلاهم ، فقد فعلوا فعل الجبان الخائف غير المتمكن من قتل قرنه ، وهذا مما لا يفخر به ، وإنما الجيد قول بلعاء بن قيس :

غشيته وهو في جأواء بإسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانقلقا

بضربة لم تكن متى مخالصة ولا تعجلتها جنباً ولا فرقا

(ومن فاسد) التثية قول بشر بن أبي خازم :

وجرّ الرامسات بما ذيولاً كأنّ شمالمها بعد الدبور

رماد بين آظار ثلاث كما وشم النواشر بالنورور

والشمال والدبور لا تشبهان بالرماد ، وإن كان أراد ما تخلف من فعل

الشمال والدبور ، فقد أساء التعبير ، وقصّر في بيان مراده .

(ومن قبيله) قوله أيضاً يصف سفينة :

أجالد صفهم ولقد أراني على زوراء تسجد للرياح

إذا ركبت بصاحبها خليجاً تذكّر ما لديه من جناح

ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالإبل القماح

وهو ممّا عابه عليه ابن قتيبة في طبقات الشعراء ، لأنّ معنى غضّ طرفه

كسره وأطرق ولم يفتح عينيه والإبل القماح : هي الرافعات رءوسها عن الماء

ممتنعة من الشرب ، فكيف يشبه المطرق بالرافع رأسه . ولكن من يراجع مادّة

(قمح) في اللسان لا يعدم للكلام مخرجاً .

(ومى التشبيهات) التي لم تقع موقعها قول ابن هرمة:

وإني وتركي ندى الأكرمين وقد حي بكفي زناداً شحاحا

كتاركة بيضها بالعـراء وملبسة بيض أخرى جناحا

وقول الفرزدق^(١):

^(١) كذا في الموشح وسر الفصاحة ، وهو الصواب الموافق لما في النقاظ . وجاء في الأغاني أن البيتين لجوير

(٤٦:٨) من طبعة بولاق.

وإنك إن هَجَو تَمِيمَا وتَرْتَشِي سِرَابِيلَ قَيْسٍ أَوْ سَحُوقَ الْعَمَائِمِ^(١)

كَمَهْرِيْقٍ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ وَغَرِّهِ سَحَابٍ أَذَاعَتْهُ رِيَّاحُ السَّمَائِمِ

فإن بيت ابن هرمة الثاني يليق بيت الفرزدق الأول ، وبيت الفرزدق الثاني يليق بيت ابن هرمة الأول ، فلو كانا كذلك لكان كل واحد منهما قد شبهه تشبيهاً واضحاً صحيحاً ؛ فأما والشعر وما هو عليه فإن التشبيه فيه بعيد . كذا في سرّ الفصاحة لابن سنان وعزا صاحب الأغاني هذا النقد لأبي نُوَاسٍ ، فذكر أنه قال : "شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه ، فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجعل مع بيت الآخر ، وأخذ بيت ذاك فجعل مع هذا لصار متفقاً معنىً وتشبيهاً" وقال بعد إيراد المقتوعين : "ولكن ابن هرمة قد تلاقى في ذلك بعد فقال :

وإنك إذ أطعمتني منك بالرضا وأياستني من بعد ذلك بالغضب

كممكنة من ضرعها كفّ حالب ودافقة من بعد ذلك ما حلب"

انتهى . يريد : أنه أتى هنا بتشبيه صحيح لا أنه أصلح به تشبيهه الأول فإن هذا غير ذاك .

(وتما وهم) فيه خُفَاف بن نُذْبَةَ قوله :

أَبْقَى لَهَا التَّعْدَاءُ مِنْ عَتْدَاتِهَا وَمَتَوْنَا كَنْخِيوْطَةَ الْكَتَّانِ

^(١) رواية الأغاني : (بتأين قيس).

قال المرزباني: "العتدات"^(١): القوائم ، أراد : أن قوائمها دقت
عادت كأنها خيوط ، وأراد ضلوعها فقال متونها .

(ومثله) قول ابن أحر:

غادري سهمه أعشى وغادره سيف ابن أحر يشكو الرأس والكبدا

قالوا : أراد غادري سهمه أعور فلم يمكنه فقال أعشى . وكان ابن أحر أعور
رماه رجل يقال له مخشى بسهم فذهبت عينه .

(ومن الأوهام) قول القائل^(٢) :

يمشى بما كل مشى أكارعه مشى الهرايذ حجوا بيعة الزون

الهرايذة : المجوس ، وهم قومة بيت النار . والزون : الصنم . قال أبو
هلال : "الغلط في هذا البيت في ثلاثة مواضع ، أحدها : أن الهرايذ المجوس لا
النصارى . والثاني : أن البيعة للنصارى لا للمجوس . والثالث : أن النصارى
لا يعبدون : لأعنام ولا المجوس".

(ومما عابه) أبو هلال على ذي الرمة قوله:

نغار إذا ما الروع أبدى عن البرى ونقرى عبيط اللحم والماء جامس

(١) كذا رسمت الكلمة في نسخة الموشح التي عندنا ، ولم نعر عليها هذا المعنى فلتحقق.

(٢) هو جبرير كما في اللسان ، وروايته له :

يمشى بما البقر الموشى أكرعه مشى الهرايذ تبغي بيعة الزون

فقال: "لا يقال: ماء جامس، وإنما يقال: وَدَكْ جامس". قلنا: هو تابع في ذلك للأصمعيّ. والجامس: الجامد، يريد: أننا نقرى في الشتاء. وبعض اللغويين يميز الجموس في الماء.

(وعاب) عليه قوله أيضاً :

إذا انجابت الظلماء أضحت رؤوسها عليهنّ من جهد الكري وهي ظَّلَع
فعدّه من عجائب الغلط، ونقل عن ابن فروة أنّه قال: قلت لذي الرُّمّة: ما
علمت أحداً من الناس أظلع الرؤوس غيرك! فقال أجل. انتهى.
قلنا: لأنّ المعروف في الظَّلَع أنّه العرج والغمز في المشي، وهذا لا
يكون في الرؤوس.

(وعاب) على أبي ذؤيب الهذليّ قوله:

فما برحت في الناس حتّى تبيّنت ثَقِيفاً بزيزاء الأشاء قبأبها
الزيزاء: (بكسر الأوّل): الأكم، واحدها زيزاء والأشاء: النخل.
قال أبو هلال: "يقول: ما زالت هذه الخمرة في الناس يحفظونها حتّى أتوا بها
ثَقِيفاً. قال الأصمعيّ. وكيف تحمل الخمرة إلى ثقيف وعندهم العنب!" ومثله
في طبقات الشعراء لابن قتيبة.

قلنا: الذي في شرح السكّريّ لديوان أبي ذؤيب أن المعنى: "حملت إلى
عُكَّاز لتباع، وهي دار ثقيف" وعليه فلا خطأ إلا أن يكون مراد الشاعر
حملت إلى ثقيف نفسها كما فهم الأصمعيّ، وتبعه فيه أبو هلال وابن قتيبة.

(ومما خطأوا) فيه الشمّاخ قوله :

وأعددت للساقين والرجل والنسا لجاماً وسرجاً فوق اعوج مختال

قال المرزبانيّ : " وإنما يلجم الشدقان لا الساقان".

قلنا : لم يقل الشمّاخ أجمت الساقين ولا يقوله أحد، وإنما قال :
أعددت لهما لجاماً وسرجاً ، أي أجمت فرسي وأسرجته ليعدو ويمرّك ساقيه
إلا أنه لم يحسن التعبير .

(ومما استُضعف) من معاني الأعتى قوله :

فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحانها

المراد بالشاة هنا : المرأة . قال المرزبانيّ : "وقد عابه قوم بذلك لأنهم
رأوا ذكر القلب والفؤاد والكبد يتردّد كثيراً في الشعر عند ذكر الهوى والمحبّة
والشوق ، وما يجده المغموم في هذه الأعضاء من الحرارة والكرب ، ولم يجسدوا
الطحال استعمال في هذه الحال إذ لا صنع له فيها ، ولا هو ممّا يكتسب حرارة
وحركة في حزن ولا عشق ، ولا برداً وسكوناً في فرح أو ظفر فاستهجنوا
ذكره".

(ومن التناقض) قول المسيّب بن علس:

فَتَسَلُّ حَاجَتَهَا إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ بِخَمِيصَةِ سُرْحِ الْيَدَيْنِ وَسَاعِ

وَكَأَنَّ قَنْطَرَةَ بِمَوْضِعِ كُورِهَا مَلْسَاءَ بَيْنَ غَوَامِضِ الْأَتْسَاعِ

وَإِذَا أَطْفَتَ بِمَا أَطْفَتَ بِكَكَلٍ نَبِضَ الْفَرَائِضِ مُجْتَفِرِ الضَّلَاعِ

فوصف الناقة بأنها خميسة : أي ضامرة ، ثم شبهها بعد ذلك بالقنطرة ،
والقنطرة لا تكون إلا عظيمة ، وأكد ذلك بقوله : مجفر الأضلاع والجفر :
العظيم الجنين من كل شيء ، فكيف تكون خميسة وهذه صفتها .

(ومن التناقض) قول الحطيئة في ثور وحشي:

حرج يلاوذ بالكناس كأنه متطوف حتى الصباح يدور
حتى إذا ما الصبح شق عموده وعلاه أسطع لا يرد منير
أوفى على عقد الكيب كأنه وسط القداح معقب مشهور
وحصى الكيب بصفحته كأنه خبث الحديد أطارهن الكير
قالوا : زعم أنه بات يطوف حتى أصبح وأشرف على الكيب ، فمن
أين صار الحصى بصفحته وإنما يلتصق بما إذا كان راقداً .

(ومنه) قول عروة بن أذينة :

نزلوا ثلاث منى بمزل غبطة وهم على غرض لعمرك ما هم
متجاورين بغير دار إقامة لو قد أجد رحيلهم لم يندموا
قال أبو هلال : "فقال لبثوا في دار غبطة ، ثم قال : لو رحلوا لم يندموا ."
ومثله قول جرير :

فلم أر داراً مثلها دار غبطة وملقى إذا النبت الحجيج يجمع
أقل مقيماً راضياً بمقامه وأكثر جاراً ظاعناً لم يودع

وهل يفتبط عاقل بمكان من لا يرضى به " انتهى .

(ومنه) قول ابن نوفل :

لأعلاج ثمانية وشيخ . كبين السنّ ذي بصر ضريو

لأنّ الضريو إنّما يستعمل في الأكثر للذي لا بصر له ، فقوله في هذا الشيخ أنّه ذو بصر ، وإنّ ضريو تناقض ، فكأنّه يقول : إن له بصرأ ولا بصر له ، فهو بصير أعمى ، كذا في الموشح للمرزياني ونقد الشعر لقدامة .

قلنا : يطلق الضريو أيضاً على المريض المهزول ، وعلى ذي الزمانة إلّا أنّ الأكثر استعماله لفاقد البصر كما قالوا ، ولا نظنّ الشاعر أراد غير الضعف وسوء الحال ، ولكنّه لما استعمله في غير ما يستعمل فيه في الأكثر أتى بما يوهم الخطأ والاحتراس من مثله أولى .

(ومنه) قول يزيد بن مالك :

أكفّ الجهل عن حلماء قومي وأعرض عن كلام الجاهلينا

إذا رجل تعرّض مستخفّاً . لنا بالجهل أو شك أن يحينا

قال قدامة : " قد أوجب هذا الشاعر في البيت الأوّل لنقسه الحلم والإعراض عن الجهّال ، ونفى ذلك بعينه في البيت الاثنية بتعديده في معاينة الجاهل إلى أقصى العقوبات وهو القتل " .

(ومما عدّوه من التناقض) قول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم^(١)

فقالوا : نقض في عجز هذا البيت ما قال في صدره ، لأنه زعم أن الديار لم يعفها القدم ، ثم انتبه من مرقد فقل : بلى عفاها وغيرها أيضاً الأرواح والديم . وقال أبو عبيدة : أكذب نفسه فقال : لم يعفها ، ثم رجع فقال : بلى . ومن يحتج له يقول : مراده أن بعضها عفا وبعضها لم يعف . وقيل : بل المراد أن الديار لم تعف في عينه من طريق محبته لها ، وشغفه بمن كان فيها .

ومثله قول امرئ القيس :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال
ثم قوله في بيت آخر :

وإن شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

ومن يذهب إلى عدم التناقض يقول : أراد لم يعف رسم حبها من قلبي . والأظهر قول بعضهم : أراد لم يقتصر سبب محوها على نسج الريحين ، بل كان له أسباب منها هذا السبب ، ومرّ السنين ، وترادف الأمطار وغيرها .

وعدّ بعضهم من التناقض قوله في موضع :

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة كفاي ولم أطلب قليلاً من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

^(١) رواه المرزباني في الموشح : (حى الديار).

وقوله في كلمة أخرى :

فتملاً بيتنا أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شع وريّ

لأنه وصف نفسه في موضع بسمو الهمة وقلة الرضا بدنئ المعيشة ، وأطرى في موضع آخر القناعة ، وأخبر عن اكتفاء الإنسان بشعبه وريّه . وقد ردّ قدامة على هذا العائب فقال : "أقول : إته لو تصفح أولاً قول امرئ القيس حتى تصفحه لم يجد معنى ناقض معنى ، فالمعنيان في الشعرين متفقان إلا أنه زاد في أحدهما زيادة لا تنقض ما في الآخر، وليس أحد ممنوعاً من الاتساع في المعاني التي لا تتناقض ، وذلك أنه قال في أحد المعنيين :

فلو أن ما أسمى لأدنى معيشة كفاي ولم أطلب قليل من المال

وهذا موافق لقوله : (وحسبك من غنى شع وريّ) ولكن في المعنى الأول زيادة ليست بناقضة لشي ، وهو قوله : لكني لست أسمى لما يكفيني ولكن مجد أوثله ، فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الإنسان باليسير متوافقان في الشعرين ، والزيادة في الشعر الأول التي دلّ بها على بعد همته ليست تنقض واحداً منهما ولا تنسخه ، وأرى أن هذا العائب ظنّ امرأ القيس قال في أحد الشعرين : إن القليل يكفيه ، وفي الآخر لا يكفيه ، وقد ظهر بما قلنا أن هذا الشاعر لم يقل شيئاً من ذلك ولا ذهب إليه ، ومع ذلك فلو قاله وذهب إليه لم يكن عندي محطناً من أجل أنه لم يكن في شرطه يحتاج إلى ألا ينقض بعضه بعضاً ، ولا في معنى سلكه في كلمة واحدة أيضاً ."

(ومن التناقض) على طريق المضاف قول عبد الرحمن بن عبد الله القيسي:

فإني إذا ما الموت حلّ بنفسها يزال بنفسي قبل ذلك فأقبر

قال قدامة : "جمع بين قبل وبعد ، وهما من المضاف ، لأنه لا قبل إلاّ
لبعد، ولا بعد إلاّ لقبل ، حيث قال : إنه إذا وقع الموت بها ، وهذا القول كأنه
شرط وضعه ليكون له جواب يأتي به ، وجوابه قوله : يزال بنفسه قبل ذلك ،
وهذا شبيه بقول قائل: لو قال : إذا انكسرت الحجرّة انكسر الكوز قبلها. وقال
أبو هلال : "هذا شبيه بقول قائل : إذا دخل زيد الدار دخل عمرو قبله".

(وتما أخذوه) على الأعشى قوله:

شّتان ما يومى على كورها ويوم حيّان أخى جابر

وكان حيّان أشهر وأعلى ذكراً من أخيه جابر ، فلم يكن محتاجاً لأن
يعرف به .

(ومن غريب الوهم) قول عديّ بن زيد :

والمشرف الهندي^(١) يُسقى به أخضر مطموثاً بما الخريص

المشرف: إناء كانوا يشربون فيه. والمطموث : المسوس. والخريص: السحاب.
ووجه الخطأ وصفه الخمر بالخضرة ، وما وصفها بذلك أحد غيره ، ولا كانت
العرب تعرف هذا اللون للخمر .

(ومن قبيله) قول المرّار :

(١) في رواية: (المصقول) وفي أخرى : (المشمول) أي الطيب . وفي رواية : (مدامة صرفاً) بدل (أخضر مطموثاً)
ولا خطأ على هذه الرواية ، والأرلى مروية في العقد والصناعتين وسر القصة والموازنة .

وخال على خديك يبدو كأنه سنا البدر في دعجاء باد دجونها

فوصف الخال بالبياض ، والوجه بالسواد ، وهو خلاف المتعارف ، اللهم إلا أن يكون حكي الواقع ، ولو كان كذلك ما عابه عليه أئمة الأدب ونقّدة الشعر كالمرزباني وأبي هلال وقدامة وغيرهم .
(ومما خطأوا) فيه جريراً قوله :

لما تذكّرت بالديرين أرقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس^(١)

فقالوا : غلط مرتين فإنّ الدجاج لا تصيح ، وإنما تصيح الديوك ، والأرق في أول الليل ، والديوك تصيح عند الصباح .

قلنا : الدجاج تطلق على الديوك أيضاً ، وإنما الوهم في الثاني ، وقد تكلف له بعضهم وجهاً فقال : إنما أراد أرقني انتظار صوت الدجاج والنواقيس .
(ومن عيوب) المعاني أن ينسب الشئ إلى ما ليس منه ، كما قال خالد بن صفوان :

فإن صورة راقحك فاخبر فرّما أمرّ مذاق العود والعود أخضر

قال قدامة والمرزباني : "كأنه يومئ إلى أن سبيل العود الأخضر في الأكثر أن يكون عذبا أو غير مرّ، وهذا ليس بواجب، لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر".

^(١) كذا روى في اللسان والموازنة والصناعين وشرح ديوان جرير ، ورواه ابن منقذ في كتاب البديع والخاصي في دور الدقاتق : (وما نزلت لها إلا وأرقني) ونسبها للفرزدق ، والصواب أنه لجرير .

(ومن عيوب) المعاني قول الحكم الخُضريّ:

كانت بنو غالب لأمّتها كالغيث في كلّ ساعة يكف

وليس في المعهود أن يكون الغيث واكفاً في كلد ساعة .

(ومنها) قول الخطيئة :

ومن يطلب مساعي آل لأي تصعده الأمور إلى علاها

قال أبو هلال : "كان ينبغي أن يقول : من طلب مساعيهم عجز عنها وقصر دونها ، فأما إذا تناهى إلى علاها فأبي فخر لهم ، فإن قيل : إنّه أراد به يلقي صعوبة ، كما يلقي الصاعد من أسفل إلى علو ، فالعيب أيضا لازم له ، لأنّه لم يعبر عنه تعبيراً مبيّناً ونحوه في الموشح للمرزباني .

قلنا : البيت على القول الأوّل أشبه بالهجاء عنه بالمدح ، لأنّه أراد أن يعظم شأنهم فصعّره وحقره ، وقد وقع الأخطل فيما يشبهه ، فإنّه أراد مدح سماك الأسديّ وكان قومه يلقبون بالقيون ويعيرون بذلك فقال :

قد كنت أحسبه قيناً وأتّبؤه فاليوم طير عن أثوابه الشرر

أي فاليوم نفى ذلك عن نفسه وذهب عنه هذا اللقب ، فته في مدحه له على شئ يعبر به ، وكان له في ضروب الممدوح متسع . ويروى : أنّه لما أنشده سماكاً قال له : أردت أن تمدحني فهجوتني كان الناس يقولون قولاً فحقّقته .

وأراد الأخطل أن يهجو سويد بن منجوف ، فأتى بما يدلّ على مدحه في

قوله :

وما جذع سوء خرب السوس أصله لما حملته وائل بمطيق

فجعله لا يطيق ما حملته وائل من أمورها ، فأثبت له نباهة وسؤدداً ، وجعله تمن تعصب به الحاجات . وفي الأغاني: أنه لما هجا سويداً بهذا الشعر قال له : يا أبا مالك ، ما تحسن تهجو ولا تمدح ، لقد أردت مدح الأسديّ فهجوته ، يعني قوله : (قد كنت أحسبه قيناً وأثبؤهُ) وأردت هجائي فمدحتني ، جعلت وائلا حملتي أمورها ، وما طمعتُ في بني تغلب فضلاً عن بكر .

قلنا : وقد سبقه زهير إلى المدح بما يشبه الهجاء في بيت لم نر من تنبه لما فيه غير ابن شرف القيرواني فقال عنه ما نصّه : " وقال زهير - وهو من أطيب شعره وأملحه عند العامة ، وكثير من الخاصة ⁽¹⁾ ، فيها هنا تحفظ وتأمل ، ولا جُلتَ ذلك منهم الحقّ أبلج - قال :

تراه إذا ما جنته مهلاً
كأنك تعطيه الذي أنتِ سائلة

مدح به شريفاً ، أي شريف ، فجعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيئاً من عرض الدنيا إليه ، وليس من صفات النفوس العازفة السامية ، والهمم الشريفة العالية ، إظهار السرور إلى أن تهلّل وجوههم ، وتسرّ نفوسهم بمبة الواهب ، ولا شدة لابتهاج بعطية المعطي ، بل ذلك عندهم سقوط همّة ، وصغر نفس " إلى أن قال : " هذا نقض البناء ، ومحض الهجاء ، والفضلاء يفخرون بضدّه هذا " .

(1) في طبقات الشعراء لابن قتيبة : أن عبد الملك بن مروان سأل قوماً من الشعراء عن أي بيت أمدح فاتفقوا

على بيت زهير هذا .

(وعابوا) على الفرزدق قوله :

ومن يأمن الحجاج والطير تتقى عقوبته إلا ضعيف العزائم

وزعموا أن الحجاج قال له : ما علمت شيئاً ، إن الطير تتقى الصبي والشوب
وتنفر من الخشبة . ولا نخال الفرزدق أراد ذلك ، وإنما مراده أن القريب
والبعيد يتقيه حتى الطائر في الجوّ ، ولكنه قصر في البيان .

(ومن عيوب المعاني) فساد التقسيم ، وهو إما أن يكون بال تكرير كقول
هذيل الأشجعي :

فما برحت تومي إليه بطرفها وتومض أحياناً إذا خصمها غفل

فإن تومي وتومض متساويان ، فكأنه قال : ما برحت تومي إليه أحياناً
وتومي أحياناً . وإما أن يكون بدخول أحد القسمين في الآخر ، كقول القائل :

أبادر إهلاك مستهلك لمالي أو عبث العابث

فإن عبث العابث داخل في إهلاك المستهلك .

ومثله قول أمية بن أبي الصلت :

الله نعمتنا تبارك ربنا ربّ الأنام وربّ من يتأبد

فمن يتأبد : أي يتوحّش داخل في الأنام ، ولا يجوز أن يكون أراد به الوحش
لأنّ من لا تقع على غير العاقل .

ومنه أن يكون القسمان مما يجوز دخول أحدهما في الآخر كقول أبي
عدي القرشي :

غير ما أن أكون نلت نوالاً من نداها عفواً ولا مهنياً

فإن العفو قد يكون مهنياً ، والمهني قد يكون عفواً ، وهو مثل ما حكى أن
أثوك سأك مرة فقال : علقمة بن عبده جاهلي أو من بني تميم .

ومثله قول عبد الله بن سليم الغامدي :

فهبطت غيثاً ما يفزع وحشه من بين سرب ناوي وكوس^(١)

فإن الناي : أي السمين يجوز أن يكون كانساً أو راتعاً ، والكانس يجوز أن
يكون سميناً أو هزيلاً ، وإما أن يكون بترك ما لا يحتمل الواجب تركه ، كقول
جرير في بني حنيفة :

صارت حنيفة أثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

قيل : إن هذا الشعر أنشد في مجلس ورجل من بني حنيفة حاضر فيه
فقيل له : من أيهم أنت ؟ فقال : من الثلث المُلغي ذكره^(٢) انتهى .

ملخصاً من نقد الشعر والموشح .

(١) المراد بالغيث هنا : الكلاء .

(٢) نليت وجه يدفع هذا الاعتراض ذكره البغدادي في خزائنه فقال : "أراد جرير بالثلث المتروك أشرفهم ،
وترك الثالث عمدًا لأنه في مقام الذم لا يجب لهم أشرفاً صراحة" .

(ومن عيوب المعاني) الإخلال ، قال قدامة والمرزباني : "هو أن يترك من اللفظ ما يتم به المعنى ، مثال ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

أعاذل عاجل ما أشتهى أحب من الأكثر الرائب^(١)

فإنما أراد أن يقول : عاجل ما أشتهى مع القلة أحب إلى من الأكثر المبطى ، فترك مع القلة وبه يتم المعنى .
ومثل ذلك قول عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغا كان أعذرا

فإنما أراد أن يقول : عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم ، ومقتلهم عند الوغا أعذر فترك في السلم .

ومن هذا الجنس قول الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلا ل النوك ممن عاش كذا

فأراد أن يقول : والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكدة في ظلال العقل ، فترك شيئا كثيراً ، وعلى أنه لو قال ذلك لكان في الشعر خلل آخر ، لأن الذي يظهر أنه أراد هو أن يقول : إن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل ، فأحل بشئ كثير .

(١) رواية قدامة في نقد الشعر :

أعادل عاجل مالي أحب إلى من الأكثر الرائب

ومن هذا الجنس نوع آخر ، وهو كما قال بعضهم :

لا يَرْمِضُونَ إذا حرّت مشافرهم ولا ترى منهم في الطعن ميّالا

ويفشلون إذا نادى ريئهم — ألا اركبني فقد آنتت أبطالا

الرببي : الطليعة ، فاراد ان يقول : ولا يفشلون ، فحذف (لا) فعاد المعنى إلى الضدّ^(١) انتهى .

(ومن اضطراب) المعنى قول أبي دؤاد الإياديّ:

لو أنّها بذلت لذي سَقَمٍ حَرَضَ الفؤاد مشارف القبض^(١)

حسن الحديث لظّل مكتئباً حرّان من وجد بها مَضّ

قال أبو هلال : "وكان استواء المعنى أن يقول : لبرأ من سقمه "

(ومن الإحالة) قول ابن مقبل :

أما الأداة ففينا ضمّر صنّع جُرْدٌ عواجِرُ بالأبّاد واللُّجم

وسج داود من بيض مضاعفة من عهد عاد وبعد الحيّ من إرم

قال ابن رشيق : "فكيف يكون نسج داود من عهد عاد اللهم إلا أن

يريد فينا ضمّر صنع من عهد عاد ، فذلك له على سبيل المبالغة ، مع أن

الإحالة لم تفارقه ، وكم بين قيس عيلان وبين عاد فضلاً عن بني العجلان^(٢) "

(١) الحرص (بفتحين) : الذي أذابه الحزن والعشق ، وهو مصدر وصف به .

(٢) بنو العجلان : رهط ابن مقبل ، وفيهم يقول النجاشي :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعاد بني العجلان رهط ابن مقبل

انتهى . والصنّع من قولهم : صنّع فرسه : إذا أحسن القيام عليه ، فهو فرس صنيع . والعواجر : التي تقمص . وجاء في اللسان عن البيت الأول : " رويت بالحاء والجيم في اللجم ، ومعناه : عليها ألبادها ولحمها ، يصفها بالسمن ، وهي رافعة أذناها من نشاطها " .

قلنا : والذي انتقله فيه ابن رشيقي يصحّ على القول الأول أن يجاب عنه بأنه أراد ما يشبه نسج داود في الجودة ، فيستقيم به المعنى ، وأما انكره في القول الثاني بقاء هذه الخيل من عهد عاد إلى زمن الشاعر ، فلا ريب في أن ابن مقبل لم يرد بقاءها بأعيانها ، وإنما أراد بقاء ما تناسل منها زمناً بعد زمن ، فليس فيه غير المبالغة .

(ومن الخطأ) قول بعضهم:

* كأنه سيّط من الأسباط *

قال في اللسان نقلاً عن ابن سيده : إنّه ظنّ السبط الرجل فغلط وفي المزهري : " ظنّ أنّ السبط الرجل ، وإنما السبط واحد الأسباط من بني يعقوب " .
(ومثله) قول الآخر :

* تفضّ أمد الهام والتراكا *

قالوا : التراك : بيض النعام . فظنّ الشاعر أنّ البيض كلّه ترائك . قلنا : لم يخطئ الشاعر . فإنّ بيضة الحديد التي للرأس يقال لها أيضاً : تريكّة على التشبيه ببيضة النعام .

(ومن وضع) كلمة موضع أخرى قول امرئ القيس:

إذا ما الثريّا في السماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح المفصل

قالوا : غلط فذكر الثريّا ، وهو يريد الجوزاء ، لأنّ الثريّا لا تتعرّض ، وهو قول الجمحيّ . وقال بعضهم : تعرّض الثريّا أنّها إذا بلغت كبد السماء أخذت في العرض ذاهبة ساعة ، كما أنّ الوشاح يقع مائلاً إلى أحد شقّي المتوشّحة به .

(وتما ادركه) بعضهم على لبيد قوله :

نحن بني أمّ البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعصعة^(١)

أراد بأمّ البنين: جدّته ليلي، وكانت ولدت أباه ربيعة بن مالك، وأعمامه: عامراً ملاعب الأستة، وطفيلاً فارس قرزل^(٢)، ومعاوية معوّد الحكماء ، وعبيدة الوشاح فكانوا خمسة لا أربعة كما قال ، ولهذا حمل بعضهم قوله أربعة على الضرورة الشعرية.

والأكثر على أنّه لم يخطئ لآله قال ذلك بعد موت أبيه . قال السهيليّ : " وإتما قال أربعة لأنّ أباه كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض الناس ، وهو قول يعزي إلى الفراء أنّه قال : إتما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافي ، فيقال له : لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن . "

(١) قوله : (بني) منصوب على الاختصاص . وبعضهم يشده رفعا .

(٢) قرزل (بضم فسكون فضم) : اسم لرسه .

القسم الخامس

ومن هذه الأوهام (القلب) عند من لا يرى جوازه ، وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر ، والآخر مكانه مع إثبات حكم كلٍّ للآخر ، نحو : قطع الثوبُ المسمارَ ، وأدخلت القلنسوة في رأسي . والأصل قطع المسمارُ الثوبَ . وأدخلت رأسي في القلنسوة . لأنَّ المسمار هو القاطع للثوب ، والرأس هو المدخل في القلنسوة .

وقد اختلف فيه النحاة والبيانيون ، فأجازه بعض النحاة لوضح المعنى ، وخصه بعضهم بالضرورة ، وقبّله بعض البيانيين مطلقاً ، وردّه بعضهم مطلقاً على ما هو مفصلٌ في كتبهم . وذهب بعض البيانيين إلى قبوله أن تضمن اعتباراً لطيفاً ، كقول رؤبة بن العجاج :

ومهمه مغبرة أرجاؤه كأنّ لون أرضه سماؤه^(١)

فالأصل : كأنّ لونَ سمائه لما فيها من الغبار لونُ أرضه . قالوا : والاعتبار اللطيف هو المبالغة في وصف لون السماء بالغبرة حتى كأنه صار بحيث يشبه به لون الأرض في ذلك مع أنّ الأرض أصل فيه . واعترض بعضهم بأن هذا لا ينبغي إجراء الخلاف فيه لأنه على هذا الاعتبار يكون من التشبيه المقلوب وقلب التشبيه متفق عليه ، فكان الأولى التمثيل بقول الشاعر :

(١) قال البغدادي في حاشيته على شرح بانت سعاد : البيت كذا في التلخيص . والذي في ديوان رؤبة وغيره : (وبلد عامية أعمأوه).

ورأين شيخاً قد تحتى صلبه يمشى فيقعس أو يُكَبّ فيعثر

لأن الأصل : أو يعثر فيكَبّ ، أي يسقط على وجهه . والاعتبار اللطيف أنّ في القلب يتخيل أنه من غاية ضعفه يسقط على وجهه قبل عثاره . ومثّلوا للقلب المرود لعدم تضمّنه هذا الاعتبار اللطيف بقول القطاميّ يصف ناقته :

فلمّا أن جرى سِمَنَ عليها كما طَيَّنْتَ بالفَدَنَ السِيعَا

والفَدَنُ : القصر . والسِيعَا (بفتح الأوّل وكسره) : الطين بالطين الذي يطين به ظاهر الجدار . أراد كما طَيَّنْتَ بالسِيعَا الفَدَنَ فَقَلَبَ . والمعنى : إنّ هذه الناقة امتلأت سمناً فصارت كالقصر المسيع في الملاسة . واعترض بأنّ لا نسلم خلوه من النكته ، لأنّه يتضمّن من المبالغة في سمن الناقة ما لا يتضمّنه قولنا : كما طَيَّنْتَ الفَدَنَ بالسِيعَا ، لإيهامه أنّ السِيعَا بلغ من العظم والكثرة إلى أن صار بمثالة الأصل ، والفَدَنُ بالنسبة إليه كالسِيعَا بالنسبة إلى الفَدَنِ ، كذا في الهندية للدمامينيّ على المعنى . وفي عروس الأفراح للبهاء السبكيّ ما نصّه : "ويروي : بطنت ، كذا رأيت في الصحاح للجوهريّ وحلية المخاضرة للحاتميّ ، والتوسعة لابن السكّيت وجعله قلباً وفيه نظر ، لأنّه يجوز أن يريد أنّه جعل القصر بطانة للطين لأنّه داخله فلا قلب ، وكلّ ما كان ظهارة لغيره كان الغير بطانة له " انتهى .

(ومما عدّوه) من القلب قول القطاميّ في مطلع هذه القصيدة :

قفي قبل التفرّق يا ضُباعا ولا يك موقفٌ منك الوداعا

لأنه جعل ماهو في موقع المتبدل نكرة ، و ماهو في موقع الخبر معرفة ،
فحمل على القلب لتصحيح الحكم اللفظي وصار تقديره : ولا يكن موقفاً
الوداع موقفاً منك ، ولو أنه نكر الوداع ما حمل على ذلك .

ومثله قول حسّان:

كأن سبيته من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

عند من نصب مزاجها فجعل المعرفة الخبر والنكرة الاسم . وفي البيت
تأويلات أخرى تخرجه عن القلب ليس هذا محلّ ذكرها .

(ومن القلب) قول القائل:

إن سراجاً لكريم مّفخرة تحلى به العين إذا ما تَجْهَرُهُ

قال السيد المرتضى في أماليه : أي يحلي بالعين فقدم وأخر.

(ومنه) قول الجعدي:

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم

والأصل : كان الرجم فريضة الزناء .

(ومنه) قول الآخر :

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعلي في ذي المطارة عاقل

أراد : ما تزيد مخافة وعلي مخافتي ، كذا في أمالي المرتضى .

(ومنه) قول الآخر :

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه وسائرُه بادٍ إلى الشمس أجمع
أي مدخل رأسه الظل.

(ومنه) قول الراعي :

فصَبَحته كلاب الغوث يؤسدها مستوضحون يورن العين كالأثر^(١)

يريد أنهم يورن الأثر كالعين.

(ومنه) قول النابغة الذبياني :

فلا تتركني بالوعيد كائني إلى الناس مطلّي به القار أجربُ

قال الأعمش : "قوله : كائني إلى الناس ، أي في الناس ، وقوله : مطلّي

به القار ، أي مطلّي بالقار فقلب ، ويحتمل أن يكون في مطلّي ضمير البعير كأنه

قال : كائي بعير مطلّي أجرب فيه القار ، أو عليه القار ."

(ومنه) قول أبي النجم :

* قبل دنوّ الأفق من جوزائه *

أي قبل دنوّ الجوزاء من الأفق .

(ومنه) قول عروة بن الورد :

فلو آئي شهدت أبا معاذ غداة غدا بمهجته يفوق^(٢)

(١) الغوث : قوم من طيء ، ويقال : استوضح الرجل : إذا وضع يده على جبهته للنظر .

(٢) لاق بنفسه : جاد لها . وقوله : لا آلوك ، قال البغدادي في حاشيته على شرح بات سعاد : الرواية (لا

آلوه) والمشهور بكاف الخطاب بتقدير فانلاً.

فديت : نسه نفسي ومالي وما آلك إلا ما أطيقت

قال المرزباني : أراد أن يقول : فديت نفسه بنفسه فقلب المعنى .

(ومنه) قول الحطيئة :

فلما خشيت المونَ والغير مُمَسِّكَ على رغبه ما أمسك الحبل حافره^(١)

وكان الوجه : ما أمسك الحبل حافره .

ومثله قول المجنون :

يضمّ إلى الليل أطفال حبكم كما ضمّ أزرارَ القميص البنائق

والوجه : رفع الأزرار ونصب البنائق ، ولهذا ذكر السرافي أن بعضهم

رواه: (كما ضمّ أزرارَ القميص البنائقا) قال : وليس بصحيح ، لأن القصيدة

مرفوعة . هذا على تفسير البنية بالرقعة تكون في الثوب كاللينة ، أو هي لبنة

القميص ، وقال صاحب اللسان : "فسر أبو عمرو الشيباني البنائق هنا بالعرّا

لتي تدخل فيها الأزرار . والمعنى على هذا واضح بين لا يحتاج معه إلى قلب

ولا تعسف إلا أن الجمهور على الوجه الأول " انتهى .

(ومنه) قول الشماخ:

بانت سعاد ففي العينين ملمول وكان في قصر من عهدها طول

قال أبو هلال : "كان ينبغي أن يقول : في طول من عهدها قصر لأن

العيش مع الأحبة يوصف بالقصر " ونحوه في الموشح للمرزباني.

(١) كذا في القرطبي ، والذي في الموشح ونقد الشعر والديوان : (ما أثبت الحبل).

(ومنه) قول أبي ذؤيب :

فلا يهنا الواشون أن قد هجرتها وأظلم دوبي ليئها ونهارها
قال أبو هلال : هذا من المقلوب ، وكان ينبغي أن يقول : وأظلم دونها
ليلي ونهاري ، ومثله في الموشح.
(ومنه) قول الأخطل :

مثل القنافظ هذاجون قد بلغت نجران أو بلغت سواتهم هجر
وكان الوجه رفع سواتهم ونصب هجر ، لأن السوات هي التي تبلغ
هجر .

(ومنه) قول كعب في بانت سعاد:

كانّ أوب ذراعها إذا عرقت وقد تلتع بالقور العساقيلُ
القور (بالضم): جمع قارة، وهو الجبل الصغير. والعساقيل هنا: السراب
ولا واحد لها . والوجه كما تلتعت القور بالعساقيل ، أي صار السراب للأكم
مثل اللثام.

(ومنه) قول النابغة الجعديّ :

حتى لحقناهم تُعدى فوارسنا كأننا رغن قُفّ يرفع الآلا
أي تغدى فوارسنا الخيل فحذف المفعول اختصاراً. ورغن القفّ نادر ينذر منه.
والقفّ . ما ارتفع من الأرض . والآل : السراب ، شبه حركتهم في عدوهم

بجرمة القفّ في الآل ، لأنّ الجبال فيه يخيّل للناظر أنّها تضطرب . فكان الوجه كأننا رعن قفّ يرفعه الآن ، كذا في أدب الكتاب لابن تتيبة والأضداد لأبي الطيّب اللغويّ وشرح بانة سعاد لابن هشام . وقال ابن السّيد في شرح أدب الكتاب : "قال الأصمعيّ : إنّما قال يرفع الآل لأنّه يزرو في الآل فإذا نزا فكأنّه قد رفع الآل ، يريد أنّه لا قلب في البيت كما قال ابن قتيبة "

(ومنه) قول خِدَاش بن زهير :

وتركب خيلاً لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحُمُر^(١)

الضياطرة: واحدهم ضَيْطَار، وهو الضخم الذي لا يُغنى شيئاً. والبيت عندهم من المقلوب ، إذ الأصل : وتشقى الضياطرة بالرماح ، أي يُقتلون بها . وقيل: لا قلب لجواز أن يكون عني أنّ الرماح تشقى بهم ، أي أنّهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها . وقال علم الدين السخاويّ في سفر السعادة : "زعموا أنّه مقلوب ، وأنّ وجه الكلام : وتشقى الضياطرة بالرماح ، وأحسن من هذا أن يكون غير مقلوب وشقاوة الرماح تكسرها فيهم ، كما قال :

فتى شقيت أرماحه بعداته كما شقيت أرماح زيد بتغلب^(٢)

(١) رواية النلسان رشفاء الغليل : وتركب خيلاً ولي الجمهرة (وتركب خيلاً) وروى في نسخة صحيحة من القرطين برفع خيل وفتح التاء من تركب . وقال أبو الطيب اللغويّ في كتاب الأضداد : "كان الوجه أن يروى وتركب (بضم التاء) وليس يروى إلا (بالفتح) والخيّل لا تركب " قلنا : لعله من قولهم : ياخيّل الله اركبي ، وقد عدوه أيضاً من المقلوب .

(٢) كذا بلفظ (زيد) في نسخة صحيحة من السعادة بأولها خط المصنف .

انتهى . وفي البيت رواية أخرى رواها الإمام محمد بن أحمد بن مُظَرَّف الكِنَافِيّ في القرطين وهي : (وتَعْصَى الرماح) من قولهم : عَصَى بِسَيْفِهِ يَعْصَى : أي ضرب به . والمراد هنا الطعن ، وعلى هذه الرواية لا يصحّ تخريج ما في البيت إلاّ على القلب . قال الكِنَافِيّ : "لأنّ الرماح لا تعصى بالضياطرة ، وإنما يعصى الرجال بها ، أي يطعنون " .

(ومنه) قول الفرزدق يذكر ذنباً :

وأطلس عسّال وما كان صاحباً رفعت لناري موهناً فأتاني

قال المبرد في الكامل : "قوله : رفعت لناري من المقلوب ، وإنما أراد رفعت له ناري ، والكلام إذا لم يدخله ليس جاز القلب للاختصار" ثم قال : "ويروى : أنّ يونس بن حبيب قال لأبي الحسن الكِنَافِيّ : كيف تنشُد بيت الفرزدق :

غداة أحلّت لابن أصرم طعنةً حصين عبيطات السدائف والخمر؟

فقال الكِنَافِيّ : لما قال : غداة أحلّت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف تمّ الكلام ، فحمل الخمر على المعنى ، أراد : وحلّت له الخمر ، فقال يونس : ما أحسن ما قلت ، ولكنّ الفرزدق أنشدنيه على القلب ، فنصب الطعنة ورفع العبيطات ، والخمر على ما وصفنا من القلب ، والذي ذهب إليه الكِنَافِيّ أحسن في محض العربية ، وإن كان إنشاد الفرزدق جيّداً " انتهى .

(ومنه) قول الفرزدق أيضاً :

فَبِتْنِ بِجَانِبِيَّ مَصْرَعَاتٍ وَبِتَ أَفْضَ أَعْلَاقَ الْحِثَامِ

قال الفارسيّ : أراد ختام الأغلاق فقلب ، كذا في اللسان في مادة (غلق) .

(ومنه) قول ذي الرّمّة :

وَقَرَّبِنَ بِالزُّرْقِ الْحَمَائِلَ بَعْدَمَا تَقَوَّبَ عَنْ غُرْبَانٍ أَوْرَاكَهَا الْخَطَرَ^(١)

الزرق : أكثبة بالدهناء . والغرابان من الفرس والبعر : حرفا الوركين .
والخطر : ما لصق بالوركين من البول . وتقوّب الجلد : تقشّر قال صاحب
اللسان "أراد تقوّبت غربانها عن الخطر فقلبه ، لأنّ المعنى معروف كقولك : لا
يدخل الخاتم في إصبعي ، أي لا يدخل إصبعي في الخاتم " .

(ومنه) قول بعضهم - ونسبه صاحب الوساطة للأعشى - :

وَكَلَّ كَمَيْتَ كَأَنَّ السَّلِيْبَ ط فِي حَيْثٍ وَارَى الْأَدِيمُ الشُّعَارَا

ففي الوساطة : "يريد حيث وارى الشعارُ الأديمَ فقلب الكلام " .

ورواية اللسان : (طويل) بدل كमित ، وجاء فيه عن البيت ما نصّه : "أراد
كأنّ السلطي ، وهو الزيت في شعر هذا الفرس لصفائه . والشعار : جمع شعْر ،
كما يقال : جبل وجبال ، أراد أن يخبر بصفاء شعر الفرس ، وهو كأنه مدهون
بالسليط . والموارى في الحقيقة : الشعار . والموارى : هو الأديم ، لأنّ الشعر

(١) الحمائل (بالحاء المهملة) هي رواية اللسان في (عرب) و (خطن) والذي في الديوان : الجمائل (بالجيم)
ولسرت بأنّها جمع جمالة .

يواريه فقلب . وفيه قول آخر يجوز أن يكون هذا البيت من المستقيم غير المقلوب ، فيكون معناه : كأن السليط في حيث واردى الأديم الشعر ، لأن الشعر ينبت من اللحم وهو تحت الأديم ، لأن الأديم الجلد . يقول : فكأن الزيت في الموضع الذي يواريه الأديم وينبت منه الشعر ، وإذا كان الزيت في منبته نبت صافياً ، فصار شعره كأنه مدهون ، لأن منابته في الدهن، كما يكون الغصن ناضراً ريان إذا كان الماء في أصوله " انتهى .

(ومنه) قول الأعشى :

حتى إذا احتدمت وصا ر الجمر مثل تراهما

أي وصار تراهما مثل الجمر . وقد روى هذا البيت في الأضداد لأبي الطيب اللغوي والقرطبي للكناني . والذي في الأضداد للسجستاني :

* حتى يصير الجمر مثل تراهما *

أي على أنه منظر بيت وليحقق فإني لم أجده في نسخة ديوان الأعشى التي بيدي . ولعله لأعشى آخر إلا أن عادتم إذا أطلقوا أرادوا الأعشى الأكبر .

(ومنه) قوله الشماخ يذكر أباه :

منه ولدت ولم يؤشب به حسبي ثيا كما عُصِبَ العلباء بالعود^(١)

العلباء : عصب العنق ، وكانت العرب إذا تصدّع رمح تعصبه به وهو رطب فيجفّ عليه، فكان الوجه في البيت : (كما عُصِبَ العود بالعلباء).

(١) منه ولدت هي رواية القرطبي والأضداد لأبي الطيب اللغوي ، والذي في ديوان الشماخ : (منه نجلت).

(ومنه) قول ذي الرُّمّة :

وتكسو المِجَنّ الرخو خصرأ كآئه إها ذوى عن صُفرة فهو أخلق

المِجَنّ هنا : الثوب والإهان (بكسر أوله) : عود العذق . والأخلق :
الأملس . وكان الوجه أن يقول : تكسو الخصر مجنأ .

(ومن القلب) قوله أيضاً يذكر بعيراً :

بَرَى لحمه التوجافُ حتّى كآئه هلال نضت عنه الرياح سحائبه^(١)

أي أهزله الإسراع في السير حتّى صيره كهلال تقشّعت عنه السحائب ،
فالرياح هي التي نضت عنه السحائب لا العكس كما في البيت ، ولكنه لما
اضطرّ قلب . وقد رواه هكذا أبو الطيّب اللغويّ في الأضداد ، ورواية الديوان :
(هلال بدا وانشقّ عنه سحائبه) ولا قلب عليها .

(ومنه) قول الآخر :

أسلّدت في دمشق كما أسلمت وحشيّة وهقّا

الوهق (بفتحيتين) : جبل مُغار يرمى فتؤخذ به الدوابّ . والوجه كما
أسلم وهقّ وحشيّة .

(ومنه) ما أورده ابن هشام في المعنى لبعضهم :

فإن أنت لاقيت في نجدة فلا يتهيّبك أن تقدما

^(١) في الديوان : (طوى بطنه الترفاف).

قال الدمامي في الهندية : "أي لا يخفك الإقدام والمعنى : لا تخف أنت الإقدام على ملاقات العدو والدخول في الحرب ، والقلب فيه ظاهر".

(وفي المغني) أيضاً لابن مقبل :

ولا تهيبني المومة أركبها إذا تجاوزت الأصداء بالسحر

أي لا تهيبني ، فحذفت إحدى التاءين ، والوجه لا أهيبها.

(ومن) قلب التنية بالإفراد ما ورد في المغني أيضاً لبعضهم.

إذا أحسن ابن العم بعد إساءة فلست لشرى فعله بجمول

أي فلست لشر فعليه .

(ومن القلب) قول بعضهم :

متاليف سيارون والليل مسدف إذا الليل بالفوج الهدان تحيرا

قال أبو الطيب اللغوي في الأضداد: "أي إذا تحير الفوج الهدان بالليل.

والفوج : الثقل والوهدان : البليد".

(ومنه) قول الآخر :

عليك سلام الله متى مضاعفاً إلى أن تغيب الشمس من حيث تطلع

قال أبو الطيب : "يريد إلى أن تطلع الشمس من حيث تغيب".

(ومنه) قول الآخر :

فإن بني شريحيل بن عمرو تماذوا والفجور من التماذي^(١)

(١) لي نسختا من الأضداد لأبي الطيب : (لال بني) وهو تحريف ظاهر، فرجحنا أن يكون : (فإن بني) وليحقق.

يريد : والتمادى من الفجور .

(ومنه) قول الآخر :

أتجزع أن نفسي أتاها حمامها فهلاً التي عن بين جنبيك تدفع

يريد : فهلاً عن التي بين جنبيك تدفع .

(ومنه) قول الآخر :

أقبّ طيمراً كسيد الغضا إذا ما الخبار انتحاه وثبُّ

يريد : إذا التحى الخبار ، أي قصده . والخبار من الأرض : ما لان واسترخى ، وكانت فيه جِحرَة .

(ومنه) قول الآخر :

ووحش إران قد سلبت مقيله إذا ضنّ بالوحوش العتاق مقائلة

هكذا أنشده أبو الطيّب اللغويّ في الأضداد وقال : "يريد إذا ضنّ الوحش بمقائلة" والأران على هذه الرواية إمّا الكتّاس ، وإمّا موضع تنسب إليه البقر . وورد في اللسان على أن الأران الثور الوحشي برواية :

وكم من إران قد سلبت مقيله إذا ضنّ بالوحش العتاق معاقله

(ومن القلب) قول بعضهم :

كأن ريفتها بعد الكري اغتبت من مستكنّ غماه النحل في نيق

أو طعم غادية في جوف ذي حَذَب من ساكب المزن يجري في الغرائيق^(١)

النيق (بكسر الأول) : أرفع موضع في الجبل ، وأراد بذئ حدب : ماء

استنقع في موضع منخفض تحت جبل فبرد وصفا ، كذا في الاقتضاب .

قال أبو الطيب في الأضداد : "أي تجري الغرائيق فيه والغرائيق : جمع

غُرَيْيق وهو طير الماء" فجعله من المقلوب، والذي في اللسان : أنه أقام (في)

مقام (مع) أي أنه أراد يجري مع الغرائيق . ومثله في أدب الكتاب لابن قتيبة

وشرحه المسمى بالاقتضاب لابن السيد ، وذكر أن الشعر لخراشة بن عمرو

العبيسي ، وأن بعضهم رواه لعنترة بن شداد .

(ومن القلب) قول الراجز يشكو أذى البرغوث:

قد حكني الأسود الأسك^(٢) بالليل حكاً ليس فيه شك

* أحكّ حتى منكبي منفكّ *

كذا رواه أبو الطيب في الأضداد وقال : "يريد بالأسود : البرغوث ، ويريد

حكته فقال: حكّتي".

ورواية اللسان:

ليلة حكّ ليس فيها شكّ أحكّ حتى ساعدي منفكّ

* أسهرني الأسود الأسكّ *

(١) ويروى : (من ساكن المزن) قال ابن السيد في الاقتضاب : أي من الماء الساكن في المزن ، وهي السحاب.

(٢) الأسك : الصغبر الأذن.

(ومنه) قول الآخر:

وقد أرايني في زمان العبة في رونق من الشباب أعجبة

قال أبو الطيب: "أي يعجبني ، وقوله : أعبه ، أي في زمان أعب فيه".

(ومنه) قول الآخر :

قد صبّحت صبّحها السلامُ بكبد خالطها السّنام

* في ساعة يحبّها الطعام *

قال أبو الطيب: "أي يُحبّب فيها الطعام ومثله في اللسان .

(ومنه) قول الآخر:

وإذا تعاورت الأكفُ زجاجها نفحت فنال رياحها المزكوم^(١)

قال أبو الطيب: "يريد : فنالت رياحها المذكوم. والمذكوم نصب والرياح رفع"

(ومنه) قول الآخر:

ما كنت في لحرب (العوان) مغمراً إذ شبّ حرُّ وقودها أجزاءها^(٢)

قال أبو الطيب: "وإنما الأجزاء هي التي شبت حرُّ وقودها".

(ومن القلب) الواقع في كلام المولدين قول أبي تمام يصف قلم ممدوحه:

(١) البيت للأخطل في الحمر ، ورواية الأغاني : (زجاجها) كما هنا ، وفي موضع آخر : (ختامها) وهي رواية معاهد التصيص أيضاً.

(٢) في النسخة بياض موضع (العوان) ولكن رسمت من الكلمة أداة التعريف والنون التي بآخرها ولتحقق.

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

أورده القززيني في الإيضاح شاهداً على القلب المتضمّن الاعتبار اللطيف ، ولم يتكلّم عليه . والمراد أنّ الوجه فيه : (لعابه كلعاب الأفاعي) فعكس التشبيه للمبالغة ، ولكن لا يخفى أنّه يرد عليه ماورد على قول رؤبة : (كأنّ لون أرضه سماؤه) المتقدّم ذكره ، فيعدّ من التشبيه المقلوب لا من القلب المراد هنا.

وزعم بعضهم : أنّ من المقلوب قول المتنبّي:

وعذلتُ أهلَ العشق حتّى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

لأنه عنده على تقدير : كيف لا يموت من يعشق ، وخلاصة ما في شروح الديوان والوساطة والمغنى وعروس الأفراح أن لا قلب، لأنّ المراد أنّه صار يرى أن لا سبب للموت سوى العشق ، أي أنّ الأمر المتقرّر في النفوس أنّ الموت أعلى مراتب الشدّة ، وإني لما ذقت العشق وعرفت شدّته عجبت كيف يكون هذا الأمر الصعب المتحقّ على شدّته غير العشق وكيف يجوز ألاّ تعمّ علّته فتستولى على الناس حتّى تكون مناياهم منه.

(ومن المقلوب) في رأى ابن جنّي قول المتنبّي أيضاً:

نحن ركب ملجّن في زيّ ناس فوق طير لها شخوص الجمال^(١)

(١) أي من الجن ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام.

لأن تقديره عنده : نحن ركب من الإنس في زيّ الجنّ فوق جمال لها شـخصـوص
الطير . قال ابن سنان الخفاجيّ في سرّ الفصاحة : " وهذا عندي تعسّف من أبي
الفتح لا تقود إليه ضرورة ، ومراد أبي الطيّب المبالغة على حسب ما جرت به
عادة الشعراء فيقول : نحن من الجنّ لجوبنا الفلاة والمهامة والقفار التي لا
تسلك ، وقلة فرقنا فيها إلاّ أننا في زيّ الإنس ، وهم بلا شكّ كذلك . ونحن
فوق طير من سرعة إبلنا إلاّ أنّ شخوصها شخوص الجمال ، ولا خلاف أيضاً في
هذا " انتهى .

القسم السادس

ومن هذه الأوهام تغيير الأسماء ، وهو ثلاثة أنواع:

الأول : لفظي ، وهو ما كان التغيير فيه في أحرف الاسم بالتقديم والتأخير ، أو الزيادة أو النقصان.

والثاني : معنوي ، وهو ما وضع فيه اسم موضع آخر .

والثالث : جامع لهما ، وهو ما وقع فيه التغييرات كلاهما .

فالأول كقول الأسود بن يَغْفَرُ يصف درعاً :

ودعا بمحكمة أمين سكها من نسج داود أبي سلام

يريد : (أبي سليمان) فلما اضطرَّ قال سلام وكقول الآخر :

وسائلة بثعلبة بن سَيْرٍ وقد علقت بثعلبة العُلُوق

يريد : ثعلبة بن سيار . ومثله كثير ولا كلام لنا فيه لخروجه عن مقصودنا.

والثاني : كقول حُسَيْل بن سُجَيْح الضَّبِّي يذكر درعاً :

وبيضاء من نسج داود نثرة تخيَّرتها يوم اللقاء الملبسا^(١)

فإنَّ الدرَّوع من نسج داود نفسه لا ابنه سليمان، وأكثر ما يقع هذا بذكر الابن بدل الأب وعكسه . وخرَّجه التبريزي في شرح ديوان الحماسة على أنه من

(١) أصله : تخيَّرتها من الملابس، فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إلى المفعول فتصبه.

عادة العرب في إقامة الأب مقام الابن، والابن مقام الأب، وتسمية الشيء باسم غيره إذا كان من سببه .

والثالث : أي الجامع اللفظي والمعنوي كقول الحطيئة:

فيه الرماح وفيه كلّ سابعة بيضاء محكمة من نسج سَلَام^(١)

وقول النابغة:

وكلّ صموت ثجلة تُبَعِّية ونسج سُلَيْم كلّ قَضَاءِ ذائل^(٢)

قال القاضي الجرجاني في الوساطة : "أراد داود فغلطا إلى سليمان ، ثم حرفا اسمه فقال أحدهما : سَلَام ، وقال الآخر : سليم" انتهى.

وتبعهما أبو العلاء المعريّ فقال في الدرعيّات:

سليمية من كل قتر يحوطها قتر نبت عنه الغواني الأوانس^(٣)

(فمن المعنويّ) قول الصلّتان العبديّ:

أرى الحظفَى بَدَّ الفرزدق شعْرُه ولكنّ خيراً من كَلَيْب مجاشع

(١) وبرى : (جدلاء) بدل بيضاء.

(٢) الذائل : الدرغ الطويلة الذيل . وفي شرح السراي على كتاب سيويه : أنه صغر سليمان على سليم تصغير ترخيم.

(٣) من كل قتر ، أي من كل جانب ، ويعني بالقتير : مسامر الدرغ ، ولما كان القتر موهما طلوع الشيب ذكر نفرة الغواني عنه.

قال ابن مطرف في القرطين : "أراد أرى جريراً بذ الفرزدق فلم يمكنه فذكره
جده" وفي خزانة البغدادي "أراد رى جرير بن عطية بن الخطفي ، وجاز هذا
لكونه معلوماً عند المخاطب ، وقد انكر الخوارزمي كون هذا من باب الحذف
وقال : إنما هو من باب تعدي اللقب من الأب إلى الابن كما في قوله :

* كراجى الندى والعرف عند المذلق *

"أي ابن المذلق" انتهى.

(ومنه) قول حسان بن ثابت .

من معشر لا يغدرون بدمّة الحارث بن حبيب بن سحام^(١)

قال القاضي الجرجاني في الوساطة : "وإنما هو حبيب" .

(ومنه) قول أوس بن حجر :

فهل لكم فيها إليّ فإني طيب بما أعي النطاسي حذيماً

أراد ابن حنيم ، وكان من أطباء العرب فذكر أباه .

وذهب ابن السكيت في شرحه لديوان أوس إلى أن حذيماً اسم الطيب
نفسه، وتبعه في ذلك صاحب القاموس ، ولكن الأكثرين على أنه أبوه .
واستشهد الزمخشري في الكشاف بهذا البيت على حذف المضاف لأمن اللبس،
ولكنه خالف كلامه في المفصل فجعله من المحذوف مع وجود اللبس ، وأنشد
معه قول ذي الرمة :

(١) ورد هذا البيت هكذا في النسخة المطبوعة بصيدا من الوساطة ولم نجده في ديوانه.

عشية فرّ الحارثيون بعدما قضى نجه في ملتقى القوم هوبر^(١)

أي يزيد بن هوبر ، وهو صوّب البغداديّ في خزانته قوله الأوّل بأنّ الإلباس وعدمه إنّما يكون بالنسبة إلى المخاطب الذي يُلقى المتكلم كلامه إليه لا بالنسبة إلى أمثالنا ، فإنّه وإن كان عندنا من قبيل الإلباس فهو مفهوم واضح عند المخاطب به في ذلك العصر .

(ومنه) قول الآخر يصف إبلاً :

صَبَحَنَ مِنْ كَاطِمَةِ الْخُصْنِ الْخَرِبُ يَحْمَلُنْ عَبَّاسَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٢)

فإن ابن مطرف الكنانيّ في القرطين: "أراد عبد الله بن عباس فذكر أباه مكانه". وجعله ابن جنيّ في الخصائص من المحذوف لأمن اللبس فقال : "وإنّما أراد عبد الله بن عباس ولو لم يكن على الثقة بفهم ذلك لم يجد بدءاً من البيان" وأورده المبرد في الكامل ، وأنشد معه للفرزدق في سليمان بن عبد الملك :

ورثتم ثياب المجد فهي لبوسكم^٢ عن ابني مناف عبد شمس وهاشم

يريد ابن عبد مناف . وأنشد معه أيضاً قول كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد ابن الحنفية في سجن عارم:

تَجَبَّرَ مِنْ لَاقِيَتِ إِلكَ عَائِدَ بِلِ الْعَائِدِ الْخَبُوسِ فِي سَجْنِ عَارِمِ

وصيّ النبيّ المصطفى وابن عمّه وفكّك أعناق وقاضي مغارم

(١) رواية المزهر : (هوى بين أطراف الأسته هوبر).

(٢) وفي رواية : (الخصن بدل الخص كما في مادة (وصي) من اللسان).

يريد ابن وصي النبي . وفي مادة (وصى) من اللسان: "إنما أراد ابن وصي النبي وابن ابن عمه، وهو الحسن بن علي، أو الحسين بن علي رضي الله عنهم، فأقام الوصي مقامها، ألا ترى أن علياً رضي الله عنه لم يكن في سجن عارم ولا سجن قط . قال ابن سيده : أنبأنا بذلك أبو العلاء عن أبي علي الفارسي ، والأشهر أنه محمد ابن الحنفية رضي الله عنه ، حبسه عبد الله بن الزبير في سجن عارم ، والقصيدة في شعر كثير مشهورة، والممدوح بها محمد ابن الحنفية" انتهى.

(ومنه) قول دريد بن الصمة يرثي أخاه عبد الله :

فإن نعقب الأيام والدمر فاعلموا بني قارب أنا عضاب بمعبد^(١)
 وإن كان عبد الله خلى مكانه فما كان طياشاً ولا رعى اليد

أراد بمعبد: عبد الله، وقد صرح به في البيت الثاني. والأقرب عدّه هذا من الخطأ اللفظي ، أي بتحريف عبد بمعبد ، وسهله له رجوع كلا اللفظين إلى معنى العبودة.

(ومنه) قول الآخر:

أرض تخيرها الطيب مقلها كعب بن مامة وابن أم دواد

قال البغدادي في الخزانة: "هو أبو دواد الشاعر، واسمه جارية"^(٢)، والتقدير ابن أم أبي دواد فحذف الأب".

(١) كذا في اللسان والوساطة ، والذي في الزهر وموارد البصائر وشرح السراي على سيويه (لمعبد) وفيه بدل البيت الثاني:

تادوا فقالوا أردت الخيل فارساً فقلت أعبد الله ذلكم الردي

(ومنه) ما ذكره السيرافي في شرحه لكتاب سيوييه فقال : "وأما مالا
يجوز في الشعر ولا في الكلام ، فالغلط الذي يغلطه الشاعر في اسم أو غيره مما
يظن أن الأمر فيه على ما قاله ، كقوله :

* والشيخ عثمان أبو عفان *^(١)

فظن أن عثمان يكنى أبا عفان ، لأن اسم أبيه عفان ، وإنما هو أبو عمرو فهذا
مما لا يجوز".

(ومنه) قول لبيد يرثي عمه عامر بن مالك الملقب بملاعب الأستة:

قوما تنوحان من الأنواح وأبنا ملاعب الرماح

وقوله فيه :

لو أن حيًا مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح

فاضطرتته القافية إلى تلقيه بلقب غيره ، لأن ملاعب الرماح هو عامر بن
نطفيل . هذا على ما جاء في موارد البصائر ومادتي (رمح) و (لعب) من
اللسان . وجاء في مادة (رمح) من القاموس : "وملاعب الرماح:

عامر بن مالك بن جعفر ، والمعروف بملاعب الأستة ، وجعله لبيد رماحاً
للقافية" إلا أنه اقتصر فيه على المشهور في مادة (لعب) .

(٢) الذي في القاموس وشرحه : (جويرية) أي بالتصغير.

(١) كذا في شرح السيرافي على سيوييه ، والذي في المزهري (أبو عفانا) ولا يصح أحدهما إلا بالوقوف على بقية
الرجز.

(ومنه) قول زهير:

فتتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فثفطم

فذكروا أنه أخطأ في قوله كأحمر عاد ، وهو أحمر ثمود . وقال بعض أهل اللغة :
العَر تسمى ثمود : عاداً الآخرة ، وتسمى قوم هود : عاداً الأولى ، فقول زهير
صحيح .

(ومنه) قول التمر بن تُوَيْب :

هلاً سألتِ بعادياء وبيته والحلّ والخمر التي لم تمنع^(١)
وفتاهم عتْر عشية أبصرت من بعد مرأى في القضاء ومسمع
قالت أرى رجلاً يقلّب نعله أصلاً وجوّ آمن لم يفزع^(٢)

وعتْر (بفتح فسكون): اسم زرقاء اليمامة، وكانت على ما زعموا تبصر
من مسيرة ثلاثة أيام ، وهي من جدّيس ، فجعلها الشاعر من بيت (عادياء)
وهو أبو السموءل الأزديّ الغسانيّ ، فأخطأ في وضعه اسماً موضع آخر .
وقال بعضهم : أراد بعادياء : عاداً ، والعرب تقول : لكل شئ قديم
عاديّ .

قلنا : وعلى هذا القول فهو من الخطأ اللفظيّ بتحريف عاد بعادياء .
والأقرب في الاعتذار عنه قول ابن حبيب في شرحه لديوانه : "نسب عتراً إلى

(١) قوله : بعادياء ، يريد عن عادياء .

(٢) جو (بفتح الأول) . اسم بلد ، وهي اليمامة . والمراد هنا أهل جو .

بيت عادياء ، وليست منهم ، وإنما كان شيئاً في أول الدهر فنسبه إلى بعضهم،
كما قال زهير كأحمر عاد وإنما كان في ثمود ."

(ومنه) قول البحريّ من المولدين :

همُ ثأروا الأخدود ليلة أغرقت رماحهم في لجّة البحر تُبعاً

قال أبو العلاء المعريّ في عبث الوليد: "الذي غرق من ملوك اليمن في البحر
لما أرهقته الحبشة هو ذو نواس الحميريّ ، ولم يكن يقال له تبع إلاّ أن هذا
يحتمله الشعر على أن يجعل كلّ ملك للعرب تبعاً ، كما جعلوا كلّ ملك للروم
قيصر ، وكلّ ملك من ملوك الحيرة النعمان ."

وكل ما ذكرناه من المآخذ لم نأت به من عند أنفسنا بل عوّلنا فيه على ما في
كتب أئمة اللغة والأدب ، كاللسان ، والمزهر ، والخصائص ، والأغاني ، والعقد ،
ومحاضرات الأدباء ، والقرطين ، والتنبيهات ، ومجالس أبي مسلم ، والوساطة ،
والموشح ، وسفر السعادة ، والحزائنة ، وكتب الأضداد ، والضرورات الشعرية ،
وشروح الدواوين ، وغيرها فإن كان لنا فيه شيء فجمع ما انتثر منه ، وضّمّ
الشبيه إلى شبيهه ، أو ما كان كالتوطئة ، أو الشرح لكلامهم . وقد منعنا طول
المقال عن إلحاقه بما وقع من هذه الأوهام لفحول المولدين غير ما تقدم ذكره
بالمناسبة فأرجأناه لمقال آخر خاصّ بهم .

أحمد تيمور